أحوال الكلمة

في الجملة من خلال السياق القرآني

سورة التوبة نموذجا

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٣/١٢/٤٢٣٩)

٢٢١,٥٩
العتيبي، زكية محمد
أحوال الكلمة في الجملة من خلال السياق القرآني:سورة التوبة نموذجاً/ زكية محمد العتيبي.- عمان: المؤلف، ٢٠١٣-١٢-٢٩
( )ص
ر.إ:٢٠١٣/١٢/٤٣٦٩
الواصفات: سور القرآن/ القرآن الكريم
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الطبعة الأولى

١٤٣٥-٢٠١٤

مكتبة الطليعة العلمية
شارع الملك حسين- وسط البلد -دخلة مطعم جبري
هاتف: 0795851508
E-mail:samibookshop@yahoo.com

دار المجد العلمية للنشر والتوزيع
عمـــان- الأردن- شـارع الملـك حسـين مقابل
مجمع الفحيص - بجانب سرفيس الحسين خط9
جـــوال: 0796914632 - 0799291702
Dar Almjd@yahoo.com

أحوال الكلمة

في الجملة من خلال السياق القرآني

سورة التوبة نموذجا

الدكتورة

زكية بنت محمد العتيبي

مُقَدِّمَة

للكلمة في السياق القرآني المعجز أحوال تزيد البيان حسنا، وتدهش الفكر وهو يتمعنها، فكل حرف، وكل كلمة، وكل جملة في القرآن الكريم معجزة.

ولو أردنا أن نتحدث عن هذا الإعجاز في كتاب الله لاحتجنا إلى مجلدات وأسفارا، مما سيضطرنا أن نقف عند كل سورة من السور وقفة خاصة تليق بهذا البيان المعجز.

لذا سأقف عند بعض آيات سورة التوبة التي تتناسب مع أحوال عصرنا الحاضر في محاولة لاأدعي فيها بأنني أوفيت كتاب الله حقه، فما هذه الوقفة إلا محاولة مني في الإسهام في تجلية بعض لطائف كتاب الله عز وجل فإن أحسنت فمن الله، وإن لم أوفق فمن نفسي والشيطان.

التمهيـــد

- التعريف بالسورة.
- سبب نزول السورة.
- سبب عدم البدء بالبسملة.
- أسماء السورة.
- سبب تسميتها بسورة التوبة
- موضوعات السورة وعلاقتها بسورة الأنفال

التمهيـــد

نزلتْ هذه السورةُ الكريمة في السنة التاسعة من الهجرة في المدينة المنورة، وهي من أوآخر ما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم – من القرآن الكريم.

مدنية ما عدا الآيتان ١٢٨ ، ١٢٩ فمكيتان، وهي من سور المئين وهي الوحيدة في السور المدنية. عدد آياتها ١٢٩ آية .

سبب نزول السورة:

لمعرفة أسباب النزول أهميةٌ في الوقوف على المعنى، إذ لايمكن معرفة تفسير الآيات إلا بالوقوف على أسباب نزولها، يقول الزركشي في فوائد معرفة أسباب النزول:" وأخطأ من زعم أنه لاطائل تحته، لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك،بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها:تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب،ومنها: الوقوف على المعنى...، ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما، ويقوم الدليل على التخصيص،ومن الفوائد أيضا: دفع توهم الحصر"[(١)]

---

(١) البرهان في علوم القرآن:٤٥/١ ومابعدها.

كما أن تعريف البلاغة هو:(مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب)، ومعرفة أحوال المخاطبين، غالبا من معرفة أسباب النزول.

وزاد السيوطي على هذه الفوائد بقوله:" ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، ومنها معرفة اسم النازل في الآية، وتعيين المبهم فيها"[1].

وقد رأيت أن أعتمد على أحد الكتب المتخصصة في أسباب النزول لهذا العلّامة،إذ وقع اختياري على كتاب:(لباب النقول في أسباب النزول) للشيخ جلال الدين السيوطي_ رحمه الله_.

وسوف أقف على شيء مما ذكره من أسباب نزول بعض الآيات، ثم أُحيل على الباقي لكثرته وقد أقف على شيء منها عند الحديث عن بعض الآيات إن لزم الأمر.

ذكر الشيخ السيوطي- رحمه الله - أن سبب نزول قوله تعالى:

١ - ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

(١) الإتقان:٦١/١ ومابعدها

هو:أنّ العباس -رضي الله عنه-حين أُسر يوم بدر قال: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة،والجهاد، فإننا كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقي الحاج ،ونفك العاني، فأنزل الله- عزّ وجلّ - هذه الآية[1] وذكر أن سبب نزول قوله تعالى:

٢- ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

أنّ رجلاً قال يوم حنين: لن نُغلب من قلة، وكانوا اثني عشر ألفا، فشق ذلك على النبي _صلى الله عليه وسلم_، فأنزل الله هذه الآية.[2]

كما ذكر سبب نزول قوله تعالى:

٣- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٥

(٢) السابق:١١٦

وهو أنّ المشركين كانوا يأتون إلى البيت ويأتون معهم بالطعام يتاجرون فيه، فلما نُهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. [1]

وقيل:إنّه لما نزل قوله تعالى:(إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) شق ذلك على المسلمين، وقالوا: من يأتنا بالطعام، وبالمتاع، فأنزل الله - عزّ وجلّ - هذه الآية [2]

وذكر سبب نزول قوله تعالى:

٤ - ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

وهو أنّ الكفار كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا، فيجعلون المحرم صفرا فيحلون فيه المحرمات، فأنزل الله هذه الآية. [3]

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٦

(٢) السابق:١١٧

(٣) السابق بصفحته

وسبب نزول قوله تعالى:

٥- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أنه حين أمر المؤمنون بالنفير إلى غزوة تبوك بعد الفتح _وكان ذلك صيفا_ اشتهوا الظلال وشق عليهم الخروج، فأنزل الله هذه الآية .[١]

كما ذكر سبب نزول قوله تعالى:

٦- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾

وهو أنه عندما أذن الرسول-صلى الله عليه وسلم- للمنافقين، وأخذ الفداء عن الأسرى وهو لم يؤمر فيهما بشيء عاتبه الحق - عزّ و جلّ- بهذه الآية.[٢]

كما ذكر أن سبب نزول قوله تعالى:

٧- ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٧

(٢) السابق:١١٨

جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

أنه لما أراد النبي – صلى الله عليه وسلم- أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس: يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ فقال : يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أري نساء بني الأصفر أُفتن ،فأذن لي ولا تفتني، فأنزل الله هذه الآية وقيل أن السبب في نزولها أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال : اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر : فقال ناس من المنافقين : إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله هذه الآية .[1]

وذكر أيضا أن سبب نزول قوله تعالى:

٨-﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾

هو أنّ نبتل بن الحرث كان يأتي رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ فيجلس إليه ويسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين، فأنزل

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٨

الله هذه الآية[(١)]

أما سبب نزول قوله تعالى:

٩ -﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

فما رُوي عن أبي مسعود - رضي الله عنه - عندما قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مُراء، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزلت هذه الآية [(٢)]

أما سبب نزول قوله تعالى:

١٠ - ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ ﴾

ما روي عن ابن عباس عندما قال : أمرَ رسول الله _صلى الله عليه وسلم-النّاس أن يبعثوا معه وذلك في الصيف، فقال

(١) السابق :١١٩

(٢) السابق : ١٢١

رجال : يا رسول الله الحر شديد، ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر، فأنزل الله هذه الآية. [١]

وقيل : إنّ سبب نزولها أنّه عندما خرج رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ في حرّ شديد إلى تبوك قال رجل من بني سلمة : لا تنفر وا في الحرّ فأنزل الله هذه الآية.

وقيل: سبب نزولها إّن رجلاً من المنافقين قال: لا تنفروا في الحر، فنزلت هذه الآية[٢].

وسبب نزول قوله تعالى:

١١ - ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

أن من بنوا مسجدَ ضرارٍ جاؤا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، قال : إني على جناح سفر، ولو قدمنا

(١) لباب النقول في أسباب النزول: ١٢٢

(٢) لباب النقول:١٢٢

- إن شاء الله - أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله هذه الآية، فدعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - مالك بن الدخشن ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه ففعلا[1].

سبب عدم البدء بالبسملة في سورة التوبة:

اتفق العلماء على ترك البسملة في أول براءة، ولكنهم اختلفوا في سبب سقوط ذلك على أقوال منها:

القول الأول:

ما ذكره الزمخشري بقوله:" وقد اختلف أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فقال بعضهم:الأنفال وبراءة سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة

لقول من قال: هما سورتان، وتركت: بسم الله الرحمن الرحيم، لقول من قال: هما سورة واحدة"[2]

(١) السابق:١٢٥

(٢) الكشاف:٦/٣

القول الثاني:

ما ذكره البيضاوي بقوله:"وإنما تركت البسملة فيها لأنها نزلت لرفع الأمان، وبسم الله أمان"[1]

وقد رد الكازروني على رأي البيضاوي بقوله:"استبعد جمع من العلماء ذلك الوجه الذي ذكره البيضاوي واعلم أن صاحب الكشاف قال: فإن قلت: هل صُدِّر ت بآية التسمية كما صُدّرت سائر السور ؟ قلت:سأل ذلك ابن عباس عثمان_ رضي الله عنهما _

فقال: إنّ رسول الله _صلى الله عليه وسلم _إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال: "اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك ضمت إليها، واعترض عليهم بأنّ هذا الجواب غير مطابق للسؤال؛ لأنه سُئِل عن سبب عدم التصدير بالبسملة، وأجاب عن ضم إحدى السورتين للأخرى وأجاب العلامة التفتازاني: بأنّ النبي _صلى الله عليه وسلم _كان يبين موضع السورة والآية ولم يبين ههنا وكانت القصتان متشابهتان فلم يعلم أنّ هذه كالآيات من

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل١/٣٩٤

الأنفال لتوصل بها كالآية بالآية أو سورة مغايرة له؛ ليفصل بينهما بتسمية، فقرن بينهما لاكما تقرن الآية بالآية، ولا كاقتران سورة بسورة، بل من بين بين"[1]

القول الثالث:

قال السيوطي: "وقد استشكل ابن عباس حبر الأمة قديما ذلك، قال:قلت لعثمان: ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين،فقرنتم بينهما،ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟

فقال عثمان_رضي الله عنه_: كان رسول الله_ صلى الله عليه وسلم-ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل مانزل، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها[2]، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ ولم يبين لنا إنها منها؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما،ولم

(١) حاشية الكازروني:١٢٦/٣

(٢) أي أن قصة سورة براءة شبيهة بقصة سورة الأنفال.

أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم[1] وعلى هذا لم يكتبها الصحابة في المصحف مقتدين في ذلك بأمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه -.[2]

الأسماء التي أطلقت على السورة:

سُميت هذه السورة بأسماء عديدة أوصلها بعض المفسرين إلى أربعة عشر اسماً.

قال الزمخشري:"لها عدة أسماء: (براءة،والتوبة، والمقشقشة، والمبعثرة، والمشردة، والمخزية والفاضحة والمثيرة، والحافرة، والمنكّلة، والمدمدمة، وسورة العذاب)؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه، وتبعثر أسرار المنافقين، وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكل بهم، وتشردهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم"[3]

أما عن سبب تسميتها بسورة التوبة: فقد ذكر الزمخشري في قوله السابق أنها سُميت بذلك"لأن فيها التوبة على المؤمنين"[4] وتبعه

(١) تناسق الدرر:٨٩ وما بعدها

(٢) مفاتيح الغيب: ١٧٣/١٥/٨٠

(٣) الكشاف:٥/٣

(٤) السابق بصفحته

البيضاوي [١] وكذلك ابن عاشور بقوله:"وتسمى سورة التوبة في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة، ووجه التسمية: أنها وردت فيها توبة الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهو حدث عظيم" [٢].

إلا أن هذا الكلام مردود عليه بأنّ التوبة التي وردت في السورة لم تكن خاصة بالمؤمنين ولاحتى بالثلاثة الذين خُلفوا كما ذكر الزمخشري ومن تبعه، يقول القونوي في ذلك:" والمراد من التوبة الكائنة في السورة إما بمعنى قبول التوبة ،أو توفيق التوبة وهما: من صفاته تعالى، أو بمعنى الرجوع من المعصية إلى الطاعة التي وصف بها العبد والكل مذكور فيها والاكتفاء بقوله تعالى:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴿١١٧﴾ ﴾" [٣] ليس بتام؛ لأن قوله تعالى:

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴿١١﴾ ﴾ [٤] وقوله تعالى:

(١) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٤/١

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٩٥/١٠

(٣) التوبة(١١٧)

(٤) التوبة(١١)

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۝٢٧﴾ [1] وغير ذلك مع كونها مذكورة لايحسن الاختصار عليها[2]

لقد ضعف هذا الرد ماذهب إليه الزمخشري، والبيضاوي، وابن عاشور ، ومن سار على نهجهم وإن كان كما هو واضح أنّ كل من جاء بعد الزمخشري مجرد ناقل لرأيه دون تمحيص وعليه يكون ماذهب إليه القونوي أشمل ، وأقرب للصواب _ والله أعلم.

وعن تسميتها في بعض المصاحف بالتوبة، وفي بعضها براءة قال ابن عاشور: "ووقع هذان الاسمان معا في حديث زيد بن ثابت، وفي صحيح البخاري، في باب جمع القرآن، قال زيد:

" فتتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة سورة براءة،وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها"[3]

---

(١) التوبة(٢٧)

(٢) حاشية القونوي:١٤٠/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٩٤/١٠

سبب تسميتها بسورة التوبة :

- سُميت هذه السورة المباركة في أغلب المصاحف بالتوبة وسُميت في البعض الآخر (براءة) إلا أن اسم التوبة كان هو الغالب، فرأيت أن أسير على ماسار ت عليه غالبية المصاحف لاسيما المصحف العثماني.
- كما أن اسم (براءة) يحمل شيئاً من الترهيب النفسي، فرأيت أن أختار ماهو مبشر تيمُّناً.

إنّ القارئ لسورة التوبة يستشعر حِدّة الألفاظ من بدء لفظ (براءة) مروراً بالتهديد والوعيد فيها، لكنه يستشعر أيضاً أنها تفعل كل ذلك وهي فاتحة ذراعيها للتوبة.

ومن لطف الله تعالى أنّه لم يُغلّب اسم الفاضحة على سورة التوبة، لأنّه ستر يحب الستر.

ومن لطفه أيضاً أن السورة قد حرمت المنافقين من الرحمة في أول السورة (من خلال عدم البدء بالبسملة، والبراءة منهم) إلا أنّها أعطت جميع الناس في آخر السورة رحمة مهداة تمثلت في بعث النبي -صلى الله عليه وسلم -رحمة للعالمين قال تعالى:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

إنّ سورة التوبة من أكثر السور التي تزيد أمل المؤمن ورجاءه في رحمة الله تعالى، فإذا كان ربّ العزة بلطفه ، وكرمه ، قد حثّ الكفار، والمنافقين على التوبة، فكيف لا يغفر لمن تاب من المؤمنين العصاة؟

إضافة إلى كل ماسبق هناك أسباب دعت لاعتماد اسم التوبة في هذا البحث أهمها:

١. ورود لفظ (التوبة) ومشتقاتها في هذه السورة (١٧) مرة وهي أكثر سور القرآن إيراداً لهذه الكلمة.

بينما ذُكرت في سورة البقرة (١٣) مرة مع أنها أطول سورة في القرآن الكريم!

وفي سورة النساء (١٢) مرة ، وفي سورة هود (٦) مرات ، وفي سورة المائدة (٥) مرات وفي سورة آل عمران (٣) مرات ، أمافي سورة الأنعام فمرة واحدة.

٢. ذُكر فيها عدة أنواع للتوبة، شملت:

أ- توبة المشركين المحاربين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

ب- توبة المؤمنين المتخاذلين عن نصرة الدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

جـ-التوبة من عدم التوكل على الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

د-توبة صفوة الخلق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

هـ-التوبة على الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

موضوعات السورة وعلاقتها بسورة الأنفال:

كلتا هما مدنيتان باتفاق، ولعل فيما سبق مايو حي بعلاقة سورة التوبة بسورة الأنفال كما مرّ بنا في سؤال ابن عباس لعثمان-رضي الله عنهما-بقوله:ماحملكم على أن قرنتم بين الأنفال والتوبة، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فأجابه عثمان-رضي الله عنه-: بأنّ رسول الله_ صلى الله عليه وسلم-كان ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها

كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل مانزل ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قال الغرناطي أيضا عن هذه العلاقة:" اتصالها بالأنفال أوضح من أن يتكلف توجيهه حتى أن شدة المشابهة والالتئام أوجب ألّا يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم؛وذلك أن الأنفال قد تضمنت الأمر بالقتال، وبينت أحكام الفرار من الزحف، وحكم النسبة المطلوبة فيها بالثبوت ولحوق التأثيم للفار وحكم من استجار منهم إلى مايتعلق بهذا وكله باب واحد وإحكام متواردة على قضية واحدة وهو تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان أعظم التحام ثم عاد الكلام إل حكم المنافقين وهتك سرهم"[2]

ومن لطائف القرآن القرآن الكريم أن سورتي التوبة والأنفال جاءتا متتاليتين توافقان الترتيب الزمني لغزوتي بدر وتبوك، فسورة الأنفال تتحدث عن أول غزوة غزاها النبي _صلى الله عليه

(١) يُنظر:تناسق الدرر:٨٩ ومابعدها

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن:٢٢٠

وسلم_بينما سورة التوبة تتحدث عن آخر غزوة لرسول الله_صلى الله عليه وسلم_ لقد جاءت السورتان متتاليتين حتى أننا نلحظ الفرق في المجتمع الإسلامي بين بداية نصرة المسلمين لدينهم ونهاية الانتصار العظيم.

أما عن الموضوعات التي دارت حولها السورة، والتي تتضح للقارئ منذ أوّل قراءة فمنها:التوبة وهي المحور الرئيس، كما تحدثت عن المنافقين بشكل جليّ،وبحثت عن أحوالهم وحفرت عمّا يخزيهم كما جاء في قوله تعالى:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

وقوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

قال ابن عاشور موضحاً موضوعات هذه السورة:

"كان غالب ما تقدم من هذه السورة تحريضاً على الجهاد، وتنديداً على المقصرين في شأنه وانتهى الكلام قبل هذا بتبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله

_ صلى الله عليه وسلم_ فلا جرم كانت قوة الكلام مؤذنة بوجوب تمحض المسلمين للغزو، وإذ قد كان من مقاصد الإسلام بث علومه وآدابه بين الأمة وتكوين جماعات قائمة بعلم الدين وتثقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها.

من أجل ذلك عُقِّبَ التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحة تمحض المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جنداً، وأن ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين، فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخَرُ يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده لأن يصدر عنه ما يضمن انتظام أمره وطول دوامه"[1]

كما أشار إليها أيضا أحد الباحثين بقوله:" محور القرآن يدور حول توحيد الله- عزّ و جلّ- فكل سورة تتناول جزءاً أو أكثر من هذا المحور، وتدور بفلكه، فالله تعالى خلق الإنسان لعبادته،قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]

(١) تفسير التحرير والتنوير:١١/٥٩

(٢) الذاريات(٥٦)

فسورة التوبة كباقي السور القرآنية، تؤكد على عدد من القوانين والتشريعات الإسلامية المتعلقة بنوعية العلاقة مع المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وضرورة البراءة منهم.

كما تُظهر السورة أهمية الجهاد وكيف رغب فيه، وحذر المتثاقلين ، وجَرّم النفاق ، والمنافقين وفضح دخائل نفوسهم، ووضيع تصرفاتهم، وحقيقة نيّاتهم وحيلهم ليقودهم إلى التوبة.

كما حذر المؤمنين من مكائدهم وبيّن مصارف الزكاة التي تعتبر أحد أعمدة الجهاد، وأشار إلي ظاهرة تعدد المستويات الإيمانية، كما قرر حقيقة البيعة مع الله من أجل إعلاء دينه وتحقيق مقصد الخلافة"[1]

---

(١) أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة:٤٣ ومابعدها بتصرف.

أحوال الكلمة في الجملة من خلال السياق

توطئة:

الكلمة عند النحاة إما: اسم، أو فعل، أو حرف، والحروف التي وقف عندها العلماء هي: حروف المعاني، ومن هذه الحروف ما يعمل في الاسم، ومنها ما يعمل في الفعل.

وقد شُغل العلماء قبل عبد القاهر الجرجاني بقضية اللفظ والمعنى و من هنا عُرف كثيرٌ منهم بأنّهم من أنصار اللفظ مثل الجاحظ وأبي هلال العسكري وابن قتيبة وغيرهم ،وعُرف آخرون بأنهم من أنصار المعنى إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني (بقضية النظم) وأبطل قضية اللفظ والمعنى، ورأى أنّ إعجازَ القرآن الكريم لا يعود إلى اللفظ، ولا إلى معنى اللفظ وإنما يعود إلى النظم أو التركيب والتأليف.

قال السعد: "ولكل كلمة مع صاحبتها مقام: إما مقام التعريف للمسند إليه ببيان مقام تعريفه، ومقام إطلاق الحكم ، ولتعليق المسند إليه، أو المسند أو متعلقة يباين مقام تقييده بمؤكد أو أداة قصر أو تابع أو شرط أو مفعول أو ما شابهها، وكل ذلك يدور حول ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول، بمطابقته

للاعتبار المناسب، انظر إلى ملائمة التعبير بالفعل الماضي (ولّيتم) مع قوله (مدبرين) [1] في قوله تعالى﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [2]

ومن أشهر من بحث في ألفاظ القرآن وغريبة الراغب الأصفهاني،وفي هذه اللفظة يقول:

" وليت سمعي كذا، و وليت عيني كذا، و وليتُ وجهي كذا، أقبلتُ به عليه قال تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ ﴿١٤٤﴾﴾ [3]

وإذا عُدِّي بـ (عن) لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك قُربه" [4]

وفي معناه قال البيضاوي :"(ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين و(الإدبار) الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال" [5]

(١) المطول:٢٦

(٢) التوبة(٢٥)

(٣) سورة البقرة:١٤٤

(٤) المفردات في غريب القرآن،:٦٩٣/٢

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل.٤٠٠/١

تنوّع الصيغ

توطئة:

لم يقف أكثر البلاغيين عند اللفظة إلا من خلال موقعها من الكلام اقتداء بعبد القاهر الجرجاني الذي ركز على ملائمة معنى الكلمة لمعنى ماقبلها ومابعدها، وهذا يدخل عندهم فيما سماه عبد القاهر فن النظم.

ومن هنا حاولت الوقوف على قيمة اللفظة، ومعناها من خلال السياق في بعض الآيات من سورة التوبة على ضوء أقوال بعض المفسرين، متوقفة عند الصيغة التي جاءت عليها بعض الألفاظ.

تعريف الصيغة:

الصيغة معجمياً مصدر من الصوغ،يقال صاغ الشيء يصوغه صوغاً وصياغة[1]، فـ(الصاد والواو والغين) ،أصل صحيح يدل على تهيئة الشيء على مثال مستقيم[2]،يقال صاغ شعراً

(١) لسان العرب مادة(ص.و.غ):٤٤٢/٨

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة(ص.و.غ):٣٢١/٣

وكلاماً أي: وضعه ورتّبه[1]،أما اصطلاحاً فمعناها: (صورة يحملـها اللفظ)[2]،فالصيغة هي الهيئة التي تكون عليها الكلمة.

والعدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى، لايكون إلا لخصوصية، ولا يتوخاه إلا العارف بالفصاحة، والبلاغة، فهو من أشكل ضروب البيان وأدقها فهمًا[3]؛لذلك كان القرآن الكريم أرضاً خصبة لمثل هذه الفنون.

صور من تنوع الصيغ في السورة:

لفظ (إلا)

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾

٢-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾

قال الزمخشري في معنى (إلاًّ) في قوله تعالى:(لا يرقبون فيكم إلا ولاذمة) أي: لا يراعوا حلفاً، وقيل: قرابة، وقيل: إلٰهاً وقرىء: (إيلا) بمعناه وقيل: جبرئيل ، وقيل: منه اشتق الآل بمعنى

(١) لسان العرب:٤٤٢/٨

(٢) يُنظر:الخصائص:٩٣/٣

(٣) يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٤١٦/١

القرابة، كما اشتقت الرحم من الرحمٰن، والوجه: أن اشتقاق الإلّ بمعنى الحلف؛لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه، من الأل وهو الجؤار، وله أليل: أي أنين يرفع به صوته،وودعت ألليها: إذا ولولت، ثم قيل لكل عهد وميثاق: إلّ، وسميت به القرابة؛ لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق"[1]

وقال الرازي:"الإل مأخوذ من قولهم إل يؤل ألا، إذا صفا ولمع ومنه الآل للمعانه، وأذن مؤللة شبيهة بالحربة في تحديدها، وله أليل أي أنين يرفع به صوته، ورفعت المرأة أليلها إذا ولولت فالعهد سمي إلا، لظهوره وصفائه من شوائب الغدر؛ ولأن القوم إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه"[2]

وزاد القونوي عليه بقوله:" استعير للقرابة؛ لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف، ثم للربوبية والتربية، وقيل اشتقاقه من ألل الشيء إذا حدده أو من آل البرق إذا لمع،وقيل إنه عبري بمعنى الإِله ؛لأنه قريء: إيلا كجبرئل وجبرئيل"[3]

(١) الكشاف :٣ /١٦

(٢) مفاتيح الغيب : ٨ /١٥/١٨٠

(٣) حاشية القونوي: ١٩٢/٩

أما الآية العاشرة ، فيقول عنها البيضاوي:

"(لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمة) فهو تفسير لا تكرير، وقيل الأول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود، أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم."[(١)]

إنّ السر في التعبير بهذه اللفظة دون غيرها؛ لأن الحق تبارك وتعالى يريد أن نعلم أن المشركين إذا تمكنوا من المؤمنين لا يراعون فيهم قرابة ولا عهداً ولا حلفاً ولا جواراً ولا قسماً فكيف يكون للمشركين عهد وهم إن تمكنوا من المؤمنين لا يراعون فيهم شيئا أبداً؟[(٢)]

صيغة التوقع (عسى):

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

قال الزمخشري عن فائدة صيغة التوقع في قوله تعالى:(فعسى

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٧

(٢) تفسير الشعراوي :٤٩٠٢/٨

أولئك أن يكونوا من المهتدين): "تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء، وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها، وافتخروا بها وأملوا عاقبتها."[1]

وقد أيده البيضاوي بقوله:"ذكره بصيغة التوقع قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم، وتوبيخاً لهم بالقطع بأنهم مهتدون، فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائراً بين عسى ولعل، فما ظنك بأضدادهم،ومنعاً للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها"[2]

ولبعض العلماء رأي خاص في التعبير بـ(عسى) في القرآن الكريم، فهي وإن كان معناها في اللغة: الإشفاق والطمع في قرب الشيء[3]، إلا أن بعض المفسرين يرون أنها إذا جاءت من الله تعالى فإن معناها التحقيق كما قال الطبري : " وكل عسى في القرآن واجبة"[4]

والبعض الآخر يرى أن معناها في القرآن الكريم هو معناها

(١) الكشاف:٢٤/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل٣٩٨/١

(٣) لسان العرب:٥٤/١٥

(٤) جامع البيان:٣٧٧/١١

في اللغة؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

وقيل أيضا:إنها تجري مجرى لعلّ، وهي في القرآن الكريم من الله جلّ ثناؤه واجبة، ومن عباده ظن[1] إلا في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴿٥﴾﴾ ژ[2] فقد وردت للتهديد ولم يتحقق الموضوع الذي دخلت عليه[3]

ومثلها(عسى) في قوله تعالى:

٤ - ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

فقد:أوجب تحقيق توبتهم الملزومة للاعتراف بقبولها بقوله تعالى: (عسى الله) أي :بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال (أن يتوب عليهم) فإن (عسى) منه سبحانه وتعالى واجبه لأن هذا دأب الملوك ولعل التعبير بها يفيد - مع الإيذان بأنه لا يجب عليه لأحد شيء وأن كل إحسان يفعله فإنما هو على سبيل الفضل إشارة إلى أنهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين غير المعصومين

---

(١) لسان العرب:٥٤/١٥

(٢) التحريم (٥)

(٣) لطائف قرآنية:١٣٤

في مواقعة التقصير، وتوقع الرحمة من الله بالرجوع بهم إلى المراقبة فكما أن أولئك معدودون في حزب الله مع هذا التقصير المرجو له العفو فكذلك هؤلاء"[1]

التعبير بـ(ما كان):

وردت صيغة (ما كان) خمس مرات في هذه السورة المباركة في قوله تعالى:

٥-﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٦-﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٧- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

---

(1) نظم الدرر :٣٨٢/٣

وقوله تعالى:

٨-﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴿١٢٠﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٩-﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

والمقصود بها:"ما صح لهم"[١]على معنى نفي الوجودِ والتحققِ،لا نفيِ الجواز[٢]

ومجيء (كان)منفية،في الآية(١٧)يعني أنّه ليس مقبولا في العقل أو المنطق أو الدين أن يقرب الكفار المسجد، ولا أنْ يرعى مشرك المسجد أو يصونه؛ لأن المسجد للعبادة، والعبادة تقتضي معبوداً هو الله سبحانه وتعالى، والكفار يشركون بالله، فمن المنطق ألا يكون لهم دخل بالمساجد، فمنعهم من المسجد: إقامة، وعمارة، وزيارة، هو شيء منطقي بشهادتهم على أنفسهم بالكفر، وهي

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٨/١

(٢) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٥١/٣

سبب منعهم من الاقتراب من مساجد الله.[1]

قال البيضاوي عن السرّ في مجيء هذه الصيغة في تفسير الآية(١٢٠): "نهي عبر به بصيغة النفي للمبالغة"[2]

وفي رأيي: إن قولنا(مَا كَانَ) تختلف في معناها عن قولنا:(ما ينبغي).

فـ(الباء والغين والياء) أصلان: أحدهما طلب الشيء، والثاني: جنس من الفساد، فمن الأوّل: بغيت الشيء أبغيه إذا طلبته، ويقال: ماينبغي لك أن تفعل كذا، وهذا من أفعال المطاوعة، تقول: بغيتُ فانبغى[3]، أما (كان) فمن (الكون) وهو أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، فكان الشيء يكون كونا، إذا وقع وحضر.[4]

فينبغي تعني أنّ القدرة على فعل الشيء موجودة، (بغيت الشيء أبغيه إذا طلبته) لكن لا يصح أن يفعله، أما في:(ما كان)، فإذا كان لا يقال للشيء (كان) إلا إذا وقع ، فهذا يعني أنه فعل

---

(1) تفسير الشعراوي:٤٩٣٥/٨

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٤/١

(٣) مقاييس اللغة:٢٧١/١

(4) السابق:١٤٨/٥

الكون إذا جاء منفيا لم يقع، وبهذا يكون معناها عند النفي: أنك غير مؤهل لفعل هذا مطلقاً .

التعبير بـ(كافة):

١٠-قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾

قال الفراء: (كَافَّةً) أي جميعاً، والكافة لا تكون مذكرة ولا مجموعة على عدد الرجال فلا نقول: كافين، أو كافات للنساء ولكنها (كَافَّةً) بالهاء والتوحيد، لأنها وإن كانت على لفظ فاعلة فإنها في ترتيب مصدر مثل الخاصة والعامة، ولذلك لم تدخل العرب فيها الألف واللام لأنها في مذهب قولك قاموا معاً، وقاموا جميعاً.

وقال الزجاج: منصوب على الحال، ولا يجوز أن يثنى ولا يجمع، كما أنك إذا قلت: قاتلوهم عامة، لم تثنّ ولم تجمع، وكذلك خاصة [(١)]

(١) يُنظر:مفاتيح الغيب:٤٤/١٥/٨

وهو مصدر(كفّ) عن الشيء وقع موقع الحال.[1]

وكونه منصوبٌ على الحال: إما مِن الفاعل، أو من المفعول و لا يُتَصَرَّف فيها بغير النصب على الحال، ولا تدخلُها أل و لا تُثَنَّى ولا تُجْمع"[2]

وكذلك" كافة" الثانية في قوله تعالى:

١١-﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

قال ابن عاشور موازنا بين معنى هذه الآية ومعنى آية (٣٦):" إذ كانت الآية السابقة قد حرضت فريقاً من المسلمين على الالتفاف حول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الغزو لمصلحة نشر الإسلام ناسب أن يُذكر عقبها نَفْر فريق من المؤمنين إلى رسول الله -صلى الله عليه -وسلم للتفقه في الدين، ليكونوا مرشدين لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام."[3]

---

(١) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٤/١

(٢) يُنظر:الدر المصون:٤٦٢/٣

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:٥٩/١١

١٢- براءة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾

البراءة تدل على التباعد من الشيء[١] وهي من انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أي: انقطعت بيننا العصمة [٢]

وهي خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة و (من) لابتداء الغاية، متعلق بمحذوف،ويجوز أن يكون : (براءة) مبتدأ لتخصيصها بصفتها، والخبر(إلى الذين عاهدتم) و قرئ (براءة) بالنصب على: (اسمعوا براءة).

والبراءة يلزم منها أنه كان هناك عهد واستمساك به، وجاءت البراءة من الاستمساك بهذا العهد الذي عهده رسول الله-صلى الله عليه وسلم- معهم، وكانوا معتصمين بالمعاهدة، ثم جاء الأمر الإلهي بقطع هذه المعاهدة.[٣]

وقد عُلقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؛ لأنّ الله

(١) مقاييس اللغة:٢٣٧/١

(٢) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٧٤/١٥/٨

(٣) تفسير الشعراوي : ٤٨٥٨/٨

قد أذن في معاهدة المشركين أوّلاً فاتفق المسلمون مع رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وعاهدوهم، فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما تجّدد من ذلك فقيل لهم: اعلموا أنّ الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين [1]

قال البيضاوي:"وإنما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله تعالى واتفاق الرسول فإنهما برئا منها" [2]

لقد افتتحت السورة كما تفتتح صكوك العقود بأدَلّ كلمة على الغرض الذي يراد منها،لذا جاء لفظ(براءة) مفيداً معنى فسخ العهد ونبذه ليأخذ المعاهَدون حِذرهم.[3]

١٣- **فسيحوا**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾

(١) يُنظر: الكشاف:٧/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٤/١

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:١٠٢/١٠

أصل السياحة الضرب في الأرض، والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الإقلال من الطعام والشراب، ومعنى: (فسيحوا في الأرض) أي: اذهبوا فيها كيف شئتم

وليس ذلك من باب الأمر، بل المقصود الإباحة والإطلاق ، والإعلام بحصول الأمان وإزالة الخوف في هذه المدة [١]

قال البيضاوي:" أمهل المشركين أربعة أشهر ليسير وا أين شأوا"[٢]

والتعميم في(أين شأوا):" مأخوذ من السياحة وأصلها جريان الماء وانبساطه ثم استعملت للسير" [٣]مما يدل على أنها استعملت مجازا .

وفي التعبير بصيغة (سيحوا) من الدِلالة على كمال التوسعةِ والترفية ما ليس في سيروا ونظائِره فكلمة سيحوا تعطي ضمانا إيمانياً فمعنى(ساح) سار ببطء [٤] و سماحة الإسلام تمنع الأخذ على غرة، فالذين قطع الإسلام معهم العهد يسيرون وهم

(١) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٧٥/١٥/٨

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٤/١

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥١٦/٤

(٤) يُنظر: تفسير الشعراوي:٤٨٦١/٨

مطمئنون في أمن وأمان فلا يتعرض لهم أحد [1]

١٤- أذان، بريء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾

أ- أذان:

الأذان: بمعنى الإيذان، وهو: الإعلام كالأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء. [2]

وهو اسم مصدر قال الرازي: " الأذان اسم يقوم مقام الإيذان، وهو المصدر الحقيقي" [3]

فـ(الإيذان) في كلام الرازي هو المصدر الحقيقي و(أذان) اسم منه، وقد صرح ابن عاشور بذلك عندما قال:

"والأذانُ اسم مصدر آذنه، إذا أعلمه بإعلان، مثل العطاء

---

(١) يُنظر: إرشاد العقل السليم: ٤٠/٣

(٢) يُنظر: الكشاف: ٧/٣

(٣) مفاتيح الغيب: ١٧٩/١٥/٨

بمعنى الإعطاء، والأمان بمعنى الإيمان، فهو بمعنى الإيذان"[1]

وفي سبب تعليق البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وتعليق الأذان بعموم الناس يقول الزمخشري:

" لأنّ البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم، وأمّا الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد، ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث"[2]

جاءت البراءة في الآية الأولى من هذه السورة إعلاماً بالمبدأ، والأذن هنا جاء لإبلاغ البراءة فـ(أذان) معناها إعلام يبلغ للناس كلهم، تماماً كأذان الصلاة؛ فهو إعلام للناس بدخول وقت الصلاة.

والأذان مأخوذ من الأذن؛لأن الإنسان حين يُعلم النّاس بشيء لا بد أن يخطب فيهم فيسمعون كلامه بآذانهم،[3] كما هو ظاهر في هذه الآية المباركة.

١٥- برئ

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۙ ٣﴾

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٠٧/١٠

(٢) الكشاف: ٧/٣

(٣) يُنظر: تفسير الشعراوي: ٤٨٦٤/٨

للتفريق بين تكرار لفظ (البراءة) بصيغتين مختلفتين في هذه الآية والآية التي جاءت في أوّل السورة يقول الزمخشري: " فإن قلت: أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية؟ قلت: تلك إخبار بثبوت البراءة. وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت."(١)

وعليه فلا تكرار في الآيتين كما قد يُظن، وفي ذلك قال البيضاوي:"ولا تكرير فيه"(٢)

قال الشهاب شارحا قول البيضاوي :(ولا تكرار فيه):

"أي لا تكرير في ذكر براءة الله ورسوله مع ذكرها أولا ،لأن تلك إخبار بثبوت البراءة بمعنى هذه براءة ثابتة من الله ورسوله في علمه تعالى، فأخبرهم بثبوت ذلك في علمه.

وقوله:(وأذان) إخبار منه تعالى لأولئك المخاطبين واجب التبليغ لقوله تعالى:(فانبذ إليهم) (٣)

فوجب تبليغه لكافة الناس في ذلك اليوم المخصوص بما ثبت في حكمه تعالى من تلك البراءة ولذا خص الأول المعاهدين، وعم

---

(١) الكشاف:٧/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٥/١

(٣) سورة الأنفال:٥٨

هذا سائر الناس"[1]

١٦- انسلخ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

قال البيضاوي:" (انسلخ) انقضى، وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة"[2]

والسلخ هو اسم لانفصال الشيء عن مكانه، فجُعل أيضاً اسماً لانفصاله عن زمانه المعين لما بين المكان والزمان من المناسبة التامة الشديدة[3]

فاستُعير له من الانسلاخ الواقعِ بين الحيوان وجلدِه، والمعنى إذا انقضى (الأشهر الحرم) وانفصلت عما كانت مشتملةً عليه، وتحقيقُه أن الزمانَ محيطٌ بما فيه من الزمانيات مشتملٌ عليه اشتمالَ

---

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي :٥٢٠/٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٥/١

(٣) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٧٩/١٥/٨

الجلد للحيوان وكذا كلُّ جزءٍ من أجزائه الممتدة من الأيام والشهورِ والسنين فإذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه [1]

وفي السر البلاغي من وراء استخدام صيغة الانسلاخ للأشهر قال أبو السعود:

" وفيه مزيدُ لطفٍ لما فيه من التلويح بأن تلك الأشهرَ كانت حِرْزاً لأولئك المعاهَدين عن غوائل أيدي المسلمين فنيط قتالُهم بزواله" [2]

١٧- استقاموا.. استقيموا

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى: (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) : " إن استقاموا على العهد فاستقيموا على

(١) يُنظر: إرشاد العقل السليم: ٤٣/٣

(٢) السابق بصفحته

الوفاء...وما تحتمل الشرطية والمصدرية"[١]

إلا أن قوله: (إن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء) فيه إشارة إلى أن المختار كون ما شرطية"[٢] وهذا يعني أنها ليست حرفا، فجعل في الجملة فعل شرط:(إن استقاموا على العهد)، وجواب للشرط:(فاستقيموا على الوفاء).

قال أبو السعود موضحاً هذين الاحتمالين:

والفاءُ في(فما) لتضمّنه معنى الشرط، و(ما) إما منصوبةُ المحلِّ على الظرفية، فتقديرُ المضافِ أي: فاستقيموا لهم، مدةَ استقامتِهم لكم ،وإما شرطيةٌ منصوبةُ المحلِّ على الظرفية الزمانية أي: أيّ زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم [٣]

وقد رجّح القونوي كونها شرطية بقوله":(وماتحتمل الشرطية)وهي الراجحة"[٤]

مستنبطا ذلك من قول البيضاوي السابق: "فإن استقاموا

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٦/١

(٢) يُنظر:حاشية القونوي:١٩٢/٩

(٣) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٤٣/٣

(٤) حاشية القونوي : ١٦٢/٩

على العهد، فاستقيموا على الوفاء".

إلا أن ابن عاشور جاء برأي مخالف، فهو يرى أن (ما)ظرفية لاشرطية لكنها متضمنة لمعنى الشرط يقول في ذلك:" و (مَا) ظرفية مضمّنة معنى الشرط، والفاء الداخلة على فاء التفريع والفاء الواقعة في قوله: (فاستقيموا لهم) فاء جواب الشرط"[1].

واستدل على صحة ما ذهب إليه بقوله:" وأصل ذلك أنّ الظرف والمجرور إذا قُدّم على متعلقة قد يُشرب معنى الشرط فتدخل الفاء في جوابه."[2]

والراجح _والله أعلم_ أن(ما) في هذه الآية شرطية كما رجّح القونوي، حيث يؤيد رأيه ما ذهب إليه ابن هشام في مغني اللبيب وهو يتحدث عن(ما) الشرطية بقوله:" وهي نوعان: غير زمانية، وزمانية، وهو ظاهر في قوله تعالى:(فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم): أي"استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم"[3]

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٢٢/١٠

(٢) السابق بصفحته

(٣) مغني اللبيب:٣٠٢/١

١٨- نكثوا ... أئمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾

أ_ نكثوا:

قال الرازي: :"يقال نكث فلان عهده إذا نقضه بعد أحكامه ،كما ينكث خيط الصوف بعد إبرامه، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ٩٢ ﴾ [1] و الأيمان جمع يمين بمعنى: الحلف والقسم. وقيل: للحلف يمين، وهو اسم اليد لأنهم كانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا أو تحالفوا

وقيل: سمي القسم يميناً ليمين البر فيه فقوله تعالى: (وإنّ نكثوا أيمانهم) أي:"نقضوا عهودهم"[2]

قال الزمخشري في توضيح السر في إثبات الأيمان لهم ثم نفيها عنهم ووصفها بالنكث في نفس الآية:

"فإن قلت: كيف أثبت لهم الإيمان في قوله: (وإنّ نكثوا

(١) سورة النحل:٩٢

(٢) مفاتيح الغيب:١٨٦/١٥/٨

أيمانهم) ثم نفاها عنهم؟ قلت: أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا إيمان لهم على الحقيقة، وأيمانهم ليست بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يميناً. وعند الشافعي رحمه الله: يمينهم يمين. وقال: معناه أنهم لا يوفون بها، بدليل أنه وصفها بالنكث"[(١)]

وقال ابن عاشور موضحاً السر البلاغي في التعبير بالنكث عن نقض الأيمان:"عبر الحق تبارك وتعالى عن نقض العهد بنكث الأيمان تشنيعاً للنكث؛لأنّ العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء"[(٢)]

ب :أئمة:

قال البيضاوي في معنى (أئمة):" المراد بالأئمة رؤساء المشركين"[(٣)]

"ووزن (أئمة) (أَفْعِله) لأنها جمع إمام والأصل:(أَأْمِمة) فالتقى ميمان،فأريد إدغامهما فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها، وهو الهمزة الثانية، فأدى ذلك على اجتماع همزتين ثانيتهما

---

(١) الكشاف:١٨/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٢٩/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

مكسورة، فالنحويون البصريون يوجبون إبدال الثانية ياء وغيرهم يحقق أو يسهل بين بين"[1]

وقد ذكر البيضاوي سر تسميتهم بذلك فقال:" للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل."[2]

وأضاف أبو السعود:"وتخصيصُهم بالذكر؛ إما لأهمية قتلِهم ، أو للمنع من مراقبتهم لكونهم مظِنةً لها، أو للدِلالة على استئصالهم، فإن قتلَهم غالباً يكون بعد قتلِ مَنْ دونهم"[3]

١٩- وليجة:

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾

الوليجة : البطانة والدُّخلاء، مأخوذة من الولوج وهو:الدخول في الشيء[4]

(١) الدر المصون:٤٥١/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرارا لتأويل: ٣٩٧/١

(٣) إ رشاد العقل السليم:٤٧/٣

(٤) مقاييس اللغة:١٤٢/٦

وقيل :"الدخول في مضيق"[(١)] والوليجة كلّ ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس من أهله"[(٢)]

وهي على وزن" فَعِيلة مِنَ الوُلوج وهو الدخول. والوليجة: مَنْ يُداخِلك في باطن أمورك وكُلُّ شيءٍ أَدْخَلْته في شيءٍ وليس منه فهو وليجة، والرجلُ في القوم وليس منهم، يقال له وَليجة ويُستعمل بلفظٍ واحد للمفرد والمثنى والمجموع. وقد يُجمع على وَلائج ووُلُج كصحيفة وصحائف وصُحُف"[(٣)]

ويؤيد ابن عاشور ماذهب إليه السمين الحلبي من كونها على وزن(فعيلة) إلا أنها عنده بمعنى (مفعولة) بقوله:"وليجة على وزن : فعيلة بمعنى مفعولة، أي: الدخيلة، وهي الفَعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنّه يُولجها، أي يُدخلها في مكمن حتى لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء العدوّ بالمسلمين، وما يشمل اتّخاذ أولياء من أعداء الإسلام يُخلص إليهم ويفضَى إليهم بسر المسلمين"[(٤)]

---

(١) المفردات في غريب القرآن:٦٩٠/٢

(٢) السابق بصفحته

(٣) الدر المصون:٤٥٣/٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٣٩/١٠

وفي معناها في الآية يقول الزمخشري :"وليجة أي بطانة، من الذين يضادّون رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ والمؤمنين"[(١)]

"والمراد بالوليجة هنا بطانة السوء التي تدخل على المؤمنين الضعاف، وتتخلل نفوسهم ليفشوا أسرار المؤمنين ويبلغوها للكفار"[(٢)]

٢٠- التعبير بالسقاية والعمارة

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾

قال الزمخشري:"السقاية والعمارة: مصدران من سقى وعمر، والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين"[(٣)]

وأضاف السمين الحلبي أنهما:" مصدرين على فِعالة، كالصِّيانة والوِقاية والتِّجارة، ولم تُقْلب الياء همزة، لتحصُّنها بتاء التأنيث بخلاف رِداء، وعَباءة لطُروء تاء التأنيث فيها، وحينئذٍ فلا بُدَّ

(١) الكشاف:٢٠/٣

(٢) تفسير الشعراوي : ٤٩٣٢/٨

(٣) الكشاف:٢٤/٣

مِن حـذف مضـاف: إمَّـا مـن الأول، وإمَّـا مـن الثـاني ليتصـادقَ المجعولان، والتقدير: أجعلتمْ أهـلَ سـقايةِ الحـاجِّ وعِمـارةَ المسـجد الحرام كمَنْ آمن، أو أَجَعَلْتم السقاية والعِمارة كإيمـان مَـنْ آمـن أو كعملِ مَنْ آمن"[1]

٢١- عشيرتكم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

"العَشِيرة: هي الأهلُ الأَدْنَون،وقيل: هم أهل الرجلِ الذين يتكثَّر بهم أي: يصيرون له بمنزلةِ العدد الكامل، وذلك أن العشيرَة هي العدد الكامل، فصارت العشيرة اسماً لأقارب الرجل الذي يَتَكثَّر بهم، سواءً بلغوا العشرةَ أم فوقها، وقيل: هي الجماعة المجتمعة بنسَبٍ أو عَقْدٍ أو وِداد كعقد العِشْرة."[2]والعشيرة"مأخوذة من (العِشرة) وقيل: من (العَشرة)،فإن العشيرة جماعة ترجع إلى

(١) الدر المصون:٣/٤٥٤

(٢) الدر المصون:٣/٤٥٦

عقد كعقد العشرة"[1]

ويميل ابن عاشور إلى أن تكون مشتقة من العِشرة فقال:"(العَشيرة) الأقارب الأدْنَوْن، وكأنه مشتقّ من العِشْرة وهي الخلطة والصحبة"[2]

٢٢- وليتم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قال البيضاوي:"(ثُمَّ وَلَّيْتُم) الكفار ظهوركم(مدبرين) منهزمين"[3]

وقال القونوي شارحا:"أيّ : إنّ(وليتم) متعد إلى مفعولين لكن حُذفا لقيام القرينة عليهما وتعديته بمفعولين مما جاء مصرحا في النظم الجليل كقوله تعالى[4]:(فلا تولوهم الأدبار)"[1]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٥٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٠

(٤) الأنفال:١٥

والفعل:(ولى)"قد يُستعمل بمعنى (تولى) أيّ:أعرض كقوله تعالى[2]:(ولى مدبرا) وكقوله تعالى[3]:(ولى مستكبرا)"[4]

واستشهد بأن الفيروز آبادي في القاموس أشار إلى أن الفعل(ولّى) قد يأتي لازما وإن كان لم ينكر صحة أن يأتي متعديا فقال:"وهذا هو مراد صاحب القاموس ولّى تولية أدبر ولم ينكر كون ولى باقيا في بابه متعديا إلى مفعولين[5]"

٢٣- نَجَسٌ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾

قال الزمخشري:" النجس: مصدر، يقال: نجس نجساً، قذر قذراً، ومعناه ذوو نجس؛ لأنّ معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس،

(١) حاشية القونوي:١٩٢/٩

(٢) النمل:١٠

(٣) لقمان:٧

(٤) حاشية القونوي:١٩٢/٩

(٥) القاموس المحيط:٤٠٤/٤

ولأنّهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في وصفهم بها."[1]

قال السمين الحلبي في توضيح السرّ البلاغي لمجيء(نَجَس) على هذه الصيغة:

"قوله تعالى: (إنما المشركون نجس): على المبالغة، جُعِلوا نفسَ النَّجَس، أو على حذف مضاف، ووجهُه أنّه اسمُ فاعل في الأصل على (فَعِل) مثل كَتِف وكَبِد، ثم خُفِّفَ بسكون عَيْنِه "[2]

٢٤- جزية:

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

قال الزمخشري:"سميت جزية؛لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه، أو لأنّهم يجزون بها مَنْ منّ عليهم بالإعفاء

(١) الكشاف:٣٠/٣

(٢) الدر المصون:٤٥٨/٣

عن القتل"[1]

وقال السمين الحلبي:"(الجِزْية): (فِعْلَة) لبيان الهيئة كالرِّكبة، لأنها مِنَ الجزاء على ما أُعْطُوه من الأمن"[2]

ومعناها كما قال أبو السعود: أيّ:"ما تقرَّرَ عليهم أن يُعطوه، مشتقٌّ من (جزى دينه) أيّ: قضاه"[3]

٢٥- يضاهئون:

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قال السمين الحلبي:" قرأ العامة: (يضاهُون) بضم الهاء بعدها واو، وعاصم بهاءٍ مكسورة بعدها همزةٌ مضمومة، بعدها واو، فقيل: هما بمعنى واحد وهو المشابهة وفيه لغتان: (ضاهَأْتُ) و(ضاهَيْت)"[4]

(١) الكشاف:٣/٣٢

(٢) الدر المصون:٣/٤٥٨

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/٥٧

(٤) الدر المصون:٣/٤٥٨

" مأخوذ من قولهم:" امرأة ضهي على (فعيل): وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة"[1]

والمعنى :"يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه"[2]

قال الشهاب:" (ضاهيت) و(ضاهأت) هما لغتان ،وفيه رد على الزمخشري إذ جعل الهمزة مزيدة"[3]

٢٦- النسئ، ليواطئوا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

أ- النسئ:

في النسيء قولان:

"القول الأول: أنّه التأخير من نسأتُ الإبل عن الحوض

(١) الكشاف:٣٤/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٢/١

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٥٨/٤

أنسأها نسأ إذا أخرتها والاسم النسيئة والنسء، ومنه: أنسأ الله فلاناً :أجلهُ، ونسأ في أجله ، والنسيء مصدر كالنذير والنكير ويحتمل أيضاً أن يكون (نسيء) بمعنى منسوء كقتيل: بمعنى مقتول،والمراد من النسيء ههنا المصدر بمعنى الإنساء، وهو التأخير، والنسء بوزن النفع وهو المصدر الحقيقي، كقولهم: نسأت أي أخرت" [(١)]

والقول الثاني:"أنّ النسيء أصله من الزيادة يقال: نسأ في الأجل، وأنسأ إذا زاد فيه وكذلك قيل للبن النسء، لزيادة الماء فيه، ونَسَأت المرأة حَبلت، جُعل زيادة الولد فيها كزيادة الماء في اللبن،وكلُّ زيادة حدثت في شيء فهو نسيء قال الواحدي: الصحيح القول الأول وهو أن أصل النسيء التأخير" [(٢)] وعليه فمعنى النسيء" تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد، وعن نافع برواية ورش (إِنَّمَا ٱلنَّسِي) بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرىء(النسي) بحذفها و(النسء) و(النساء) وثلاثتها مصادر

(١) مفاتيح الغيب:٤٥/١٥/٨

(٢) السابق

(نسأه) إذا أخره"[1]

٢٧- ليؤاطئوا

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴿٣٧﴾﴾

قال أهل اللغة في معنى الإيطاء:"واطأت فلاناً على كذا إذا وافقته عليه،و يقال: تواطأ القوم على كذا إذا اجتمعوا عليه، كأن كل واحد يطأ حيث يطأ صاحبه"[2]

و"(المواطأة) (مفاعلة)عن الوَطء شبه التماثل في المقدار وفي الفعل بتوافق وطء الأرجل ومن هذا قولهم (وقوع الحافر على الحافر)"[3]

والهدف من المواطأة في الآية"ليوافقوا عدة ماأحله الله،حتى يبرروا،ويقولوا لأنفسهم: نحن لسنا عاصين،فإن كان الله يريد أربعة أشهر حرم ، فنحن قد التزمنا بذلك،ولكن تشريع الله ليس في

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٤/١

(٢) مفاتيح الغيب:٤٧/١٥/٨

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٩٣/١٠

العدد فقط ولكن في المعدود أيضا." [١]

٢٨- اثّاقلتم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

أصل (أثّاقلتم):"(تثاقلتم) ومعناه تباطأتم" [٢]وهو"ماض اللفظ مضارع المعنى أيّ: يتثاقلون" [٣]

وفي اختيار صيغة (اثاقلتم) سر بلاغي يخدم المعنى فـ"الثقل معناه: أن كتلة الشيء قد تكون زائدة على قدرة من يحمله لكن التثاقل معناه تكلّف المشقة،أيّ:لك قدرة على الفعل، ولكنك تتصنع أنّك غير قادر، فقوله تعالى:(اثّاقلتم) أيّ: تكلّفتم الثقل بدون حقيقة، فأنتم عندكم قدرة على القتال، ولكنكم تتظاهرون بأنّ لا قدرة لكم" [٤]

---

(١) تفسير الشعراوي:٥٠٩٩/٨

(٢) مفاتيح الغيب:٤٨/١٥/٨

(٣) الدر المصون:٤٦٤/٣

(٤) تفسير الشعراوي:٥١٠٨/٨ ومابعدها

٢٩- خبالا، أوضعوا، سماعون:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

أ- خبالا:

معنى قوله تعالى:(إِلاَّ خَبَالاً)أي" فساداً وشراً ،ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه ،لأنّ الزيادة باعتبار أعمّ العام الذي وقع منه الاستثناء، ولأجل هذا التوهم جُعل الاستثناء منقطعاً وليس كذلك ،لأنه لا يكون مفرغاً"[1]

ومعنى الآية أي": أنهم لن يكونوا إلا مصدراً لبلبلة الأفكار لوخرجوا معكم للقتال، فلا تستطيعون اتخاذ القرار السليم، فكأنهم عين عليكم، وضدكم وليسوا معكم، وقد يكونون من عوامل الهزيمة التي لم يُرِدْهَا الله لكم، وليسوا من عوامل النصر، فكأن عدم خروجهم هو دفع لشَر كان سيقع لو أنهم خرجوا معكم وشاء الحق عدم خروجهم، حفاظاً على قوة المؤمنين وقدرتهم على

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٧

الجهاد"[١]

ب- أوضعوا:

ومعنى قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم)أيّ:" ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة و التضريب أو الهزيمة و التخذيل من وضع البعير وضعاً إذا أسرع"[٢]

والمعنى المراد:" أنهم كانوا سيُحْدثون فُرْقة بين صفوف المؤمنين ويُفرِّقونهم، وسيتغلغلون بينهم للإفسَاد؛ لأنّ الخلال هو الفُرْجة بين الشيئين أو الشخصين، فيدخل واحد منهم بين فريق من المؤمنين فيفسد، وآخر يفسد فريقاً آخر، وهكذا يمشون خلال المؤمنين ليفرقوا بينهم."[٣]

والإيضاع يعني: الإسراع بدرجة بين الإبطاء والسرعة، فيقال: (أوضعت الدابة)،أيّ:"مشتْ بخُطىً غير بطيئة وغير سريعة في نفس الوقت، ولو نظرتَ إلى حالة هؤلاء المنافقين لو خرجوا مع المؤمنين للقتال، لرأيتهم وهم يزينون لهم الفساد، ويعملون على أن

(١) تفسير الشعراوي:٥١٦١/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

(٣) تفسير الشعراوي:٥١٦٢/٩

تصاب عقول المقاتلين بالخبل، ولوجدتَ أن هذا الأمر يتطلب آخر البطء وأول السرعة في الحركة، كانوا يحتاجون إلى البطء؛ لأنهم كانوا سيهمسون في آذان المؤمنين بتزيين الباطل وهذا يقتضى بُطئاً، ثم ينتقل الواحد منهم إلى مؤمن ثان ليقوم معه بنفس العمليّة، ولا بد أن يسرع إلى التواجد بجانب المؤمن الآخر فالحركة هنا تحتاج إلى بطء في الوسوسة؛ وسرعة في الانتقال من مؤمن لآخر، وهذا أدقُّ وصف ينطبق على ما كان سيحدث"[(١)]

جـ- سمّاعون لهم:

معنى قوله تعالى:(وفيكم سماعون لهم) أيّ :"فيكم ضَعَفَة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم"[(٢)]

و"مفعول سماعون محذوف، واللام في(لهم) للتعليل، وأعتبر فعلا خاصا بمتعلقه لقيام القرينة عليه، وتقدير الفعل الخاص عند القرينة أيد من تقدير الفعل العام، وأما في الوجه الأول، فاللام لتقوية العمل، كما أشار إليه المصنف[(٣)] بقوله:(يسمعون قولهم)ولم

---

(١) السابق: ٥١٦٣/٩ ومابعدها

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

(٣) يقصد البيضاوي

يشر إلى المبالغة المستفادة من الصيغة بحسب الظاهر"[1]

ومجيء لفظة (سمّاعون) في السياق تعني:" أن الصف الإيماني لن يكون في مَنَعة مما كان سيفعله هؤلاء المنافقون، فصحيح أنهم لم يخرجوا مع المؤمنين، ولكن هناك بين المؤمنين من كان يستمع لهم"[2]

٣٠- ملجأ ،مغارات ،مُدّخلا ، يَجْمحون

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قد يظن صاحب النظرة الأولى أن هذه الألفاظ : (ملجأ ، مغارات ، مدخلا) ألفاظ مترادفة في المعنى، لكنها في الحقيقة ليست كذلك، فكل كلمة من تلك الكلمات تُبيّن شكلا خاصا للمهرب الذي يبحث عنه المنهزم من هؤلاء المنافقين.

أ- ملجأ:

معنى:(ملجأ)أيّ:" مكاناً يلتجئون إليه متحصنين به من رأس

(١) حاشية القونوي:٢٤٤/٩

(٢) تفسير الشعراوي:٥١٦٥/٩ ومابعدها

جبل أو قلعة أو جزيرة"[1] وقيل:"المَهْرب وقيل: الحِرْز وهو (مَفْعَل) مِنْ لجأ إليه يلجأ، أيّ: انحاز يقال: ألجأته إلى كذا

أيّ:اضطررته إليه فالتجأ، والملجأ يَصْلُح للمصدر والزمان والمكان، والظاهر منها هنا المكان" [2]

ب- مغارات:

المغارات جمع مغارة وهي على وزن (مَفْعَلة) مأخوذة مِنْ"غار يغور،فهي كالغار في المعنى وقيل: المغارة: السِّرْب في الأرض كنفق اليربوع، والغار النَّقْبُ في الجبل"[3]

قال البيضاوي في اشتقاق لفظ(مغارات) أي:" غيراناً"[4] وهي من" غار يغير"[5] ويجوز أن تكون"مُغَارات من أغار يغير"[6]

قال الشهاب:" جمع مغارة بمعنى: الغار، ومنهم من فرق

---

(١) الكشاف:٥٨/٣

(٢) الدر المصون:٤٧٤/٣

(٣) السابق بصفحته

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٨/١

(٥) إعراب القرآن للنحاس:٢٢١/٢

(٦) السابق بصفحته

بينهما بأنّ الغار في الجبل والمغارة في الأرض"[1]

جـ- مُدَّخلا:

قيل: أن (مُدَّخل) من(مُفْتَعَلِ)مشتق من :(الدخول)،"وهو بناء مبالغة في هذا المعنى، والأصل مُدْتَخل، فأدغمت الدال في تاء الافتعال كادَّان من الدَّين"[2] وقيل:" المدَّخَل: نفق يندسون فيه وينجحرون"[3]

قال صاحب الدّر المصون في السرّ في ترتيب مجيء هذه الصيغ على هذا النحو:" ذُكر أولاً الأمر الأعم وهو الملجأ من أي نوع كان، ثم ذكر الغَيْران التي يُختفى فيها في أعلى الأماكن وفي الجبال، ثم الأماكن التي يُختفى فيها في الأماكن السافلة وهي السُّروب التي عبَّر عنها بالمُدَّخل."[4]

د- يجمحون

(يجمحون) أيّ:"يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء كالفرس

---

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٨٣/٤

(٢) الدر المصون:٤٧٤/٣

(٣) الكشاف:٥٨/٣

(٤) الدر المصون:٤٧٤/٣

الجموح."[1]

" والآية هنا تعطينا صورة دقيقة لحالة المنافقين في أي معركة، فبمجرد بَدْءِ القتال تجدهم لا يتجهون إلى الحرب، ولا إلى منازلة العدو، ولا يطلبون الاستشهاد، ولكنهم في هذه اللحظة التي يبدأ فيها القتال يبحثون عن مكان آمن يهربون إليه، أو مغارة يختبئون فيها، أو مُدَّخل في الأرض ينحشرون فيه بصعوبة ليحميهم من القتال، فإذا انتهت المعركة خرجوا لينضموا إلى صفوف المسلمين، ذلك أنهم لا يؤمنون، فكيف يقاتلون في سبيل دين لا يؤمنون به؟ ولذلك كنت تجدهم في المدينة إذا نودي للجهاد فهم أول من يحاول الهروب ويذهبون للقاء النبي -صلى الله عليه وسلم -طالبين التخلف عن المعركة"[2]

٣١- يلمزك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٨

(٢) تفسير الشعراوي:٩/٥٢٠٩

قال البيضاوي:"(ومنهم من يلمزك): يعيبك"[1] وأصله الإشارة بالعين ونحوها"[2]

"ظاهره أنه مطلق العيب كالهمز،ومنهم من فرق بينهما: بأن اللمز في الوجه، والهمز في الغيب، وقد عُكِس أيضا، وأصل معناه الدفع"[3]

٣٢- المُعَذّرون:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

قُرئ قوله تعالى: (المعذّرون)"بوجوهٍ كثيرة، فمنها قراءة الجمهور: فَتْحُ العين وتشديدُ الذال، وهذه القراءة تحتمل وجهين: أن يكون وزنه فَعَّل مضعّفاً، ومعنى التضعيف فيه التكلف والمعنى: أنه تَوَهم أن له عُذْراً، ولا عُذْرَ له. والثاني: أن يكون وزنه افتعل والأصل: اعتذرَ فأُدْغمت التاءُ في الذال بأنْ قُلبت تاءُ الافتعال

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٩/١

(٢) الدر المصون:٤٧٦/٣

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٨٤/٤

ذالاً، ونُقِلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين"[1]

و (المعذّرون)من عذر في الأمر، إذا قصر فيه وتوانى ولم يجدّ: وحقيقته أنه يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له."[2]

ويؤيد هذا القول ماذُكرعن ابن عباس_رضي الله عنه_ أنه كان يقرأ:

" (المعذِّرون) ويقول: لعن الله المعذِّرين. يريد: لعن الله المقصِّرين من المنافقين وغيرهم. والمعْذرون: الذين يأتون بالعذر الصحيح، فبان من هذا الكلام أن لهم عذراً على قراءة من خفف، وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدد؟ فيه قولان:

قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذَن لهم في التخلُّف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله _صلى الله عليه وسلم_، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علَّة، جرأةً على الله تعالى"[3]

(١) وقرئ"(المعْذِرون) بسكون العين وكسرِ الذال مخففةً مِنْ أَعْذَر يُعْذِر كأكرم يكرم"

كما قُرئ: (المعَذَّرون) بتشديد العين والذال مِنْ تعذَّر بمعنى اعتذر. الدر المصون:٤٩٠/٣

(٢) الكشاف:٨٠/٣

(٣) زاد المسير:٦٠٠

إنّ مجيء هذه الصيغة(المعذِّرون) من لطائف القرآن الكريم ، لتشمل كلّاً من: الذين صدقوا في العذر والذين لم يصدقوا فيه.

٣٣- مَغْرَما :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

(مَغْرَماً) غرامة وخسراناً، والغرامة: ما ينفقه الرجل وليس يلزمه؛ لأنه لا ينفق إلاّ تُقية من المسلمين ورياء، لا لوجه الله -عزّ وجلّ- وابتغاء المثوبة عنده" [١]وهو:" مشتق مِنَ الغَرام وهو الهلاك ،لأنه سيئةٌ، ومنّه"[٢]فعدوا ما أنفقوه مغرما واحدا في مقابل الجمع (قربات) [٣] في نفقة المؤمنين وذلك إشارة إلى ضآلة ما أنفقوه، وقلّته ولو كانت نفقاتهم كثيرة لاتخذوها مغارم لامغرماً واحداً"[٤]

٣٤- مُرْجَون :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

---

(١) الكشاف:٨٣/٣

(٢) الدر المصون:٤٧٤/٣

(٣) في الآية التي تليها(٩٩)

(٤) يُنظر:الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:١٣١

قُرئت مرجون (مُرْجؤون)[1]بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة وقُريئت:"(مُرْجَوْن) دون تلك الهمزة .

وهما لغتان يقال: أَرجَأته وأَرْجَيْتُه كأَعْطيته، ويحتمل أن يكونا أصلين بنفسِهما، وأن تكونَ الياءُ بدلاً من الهمزة، ،لأنه قد عُهِد تحقيقُها كثيراً كقَرَأْت وقَرَيْتُ، وتوضَّأْت وتوضَّيْت"[2]

و" (مرجون) و (مرجؤن) من أرجيته، وأرجأته: إذا أخرته."[3]

و"(مرجون) أي مؤخرون بين الرجاء والخوف (لأمر الله) أي لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذي له الأمر كله لا يدرون أيعذبون أم يرحمون"[4]

أفاد اختيار هذه اللفظة:"أن الحكم فيهم لم يظهر بعد؛ لأن الله يريد أن يبين للناس أمراً وخاصَّةً أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ لم ينشئ في الدولة الإسلامية سجناً يُعزَل فيه المجرم عن غيره عقابا له.

---

(١) قراءةابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم

(٢) الدر المصون:٣/٥٠١

(٣) الكشاف:٣/٩٠

(٤) نظم الدرر:٣/٣٨٤

وهذا لحكمة أرادها الله _عز وجل_ وهو زيادة في التنكيل به فالنكال الحقيقي أن تدع المجرم طليقاً، وتسجن المجتمع عنه"[1].

٣٥- شفا جُرُف هارٍ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

أ- شفا:

"الشفا هو: الشفير، وشفا الشيء حرفه، ومنه يقال: (أشفى على كذا) إذا دنا منه"[2]

ب- جرف:

(الجرف) هو: "طين واه مشرف على السقوط يأتي بعد السيول"[3]

قُرئت(جُرْف)[4] بسكون الراء وقرئت بضمها فقيل: لغتان.

(١) تفسير الشعراوي:٥٤٨٤/٩

(٢) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٥٦/١٥/٨

(٣) السابق بصفحته

(٤) قراءة حمزة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم.انظر:مفاتيح الغيب:١٥٦/١٥/٨

وقيل: الساكن فرعٌ على المضموم نحو: عُنْق في عُنُق وطُنْب في طُنُب، وقيل بالعكس كعُسُر ويُسُر "[1]

والجُرُف: "البِئْر التي لم تُطْوَ، وقيل: هو الهُوَّةُ وما يَجْرُفُه السَّيْلُ من الأودية، وقيل: هو المكان الذي يأكله الماء فيَجْرُفه أي يَذْهب به "[2]

جـ- هارٍ:

" (هَارٍ) من الهور وهو مصدر هار الجرف يهور، إذا انصدع من خلفه، وهو ثابت بعد في مكانه، وهو جرف هار هائر، فإذا سقط فقد انهار وتهور. "[3]

" (هَارٍ) نعت لجُرُفٍ، وفيه ثلاثة أقوال، أحدها: ـ وهو المشهور ـ أنه مقلوبٌ بتقديمِ لامه.

على عينه، وذلك أنَّ أصلَه: (هاوِرٌ) أو (هايِرٌ) بالواو والياء لأنه سُمع فيه الحرفان. قالوا: هار يَهُور فانْهارَ، وهار يَهير. وتَهَوَّر البناء وتَهَيَّر، فقُدِّمت اللام وهي الراء على العين ـ وهي الواو أو

---

(١) الدر المصون:٣/٥٠٥

(٢) السابق بصفحته

(٣) مفاتيح الغيب:٨/١٥/١٥٦

الياء ـ فصار كغازٍ ورامٍ، فأُعِلَّ بالنقص كإعلالهما فوزنه بعد القلب (فالِع)، ثم تَزِنُه بعد الحذف بـ(فال).

الثاني: أنه حُذِفَتْ عينُه اعتباطاً أي لغير موجَبٍ، وعلى هذا فيجري بوجوه الإِعراب على لامه، فيُقال: هذا هارٌ ورأيت هاراً ومررت بهارٍ، ووزنُه أيضاً (فال).

والثالث: أنه لا قلبَ فيه ولا حذف وأنَّ أصله هَوِر أو هَيِر بزنة كَتِف، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقُلِب ألفاً فصار مثل قولهم: كبشٌ صافٌ، أي: صَوِف أو يومٌ راحٌ، أي: رَوِح. وعلى هذا فتحرَّك بوجوه الإِعراب أيضاً كالذي قبله كما تقول: هذا باب ورأيت باباً ومررت ببابٍ. وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادِّعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل، لولا أنه غير مشهور عند أهل التصريف. ومعنى" هار" أي: ساقط متداعٍ مُنْهار"[1]

و"(هار): اسم مشتق من هَارَ البناءُ إذا تصدع،قيل: أصله هَوَر بفتحتين كما قالوا خَلَف في خالف، وليست الألف التي بعد الهاء ألف فاعل بل هي عين الكلمة منقلبة عن الواو؛ لأن الواو متحركة وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وقيل هو اسم فاعل من هار

(١) الدر المصون:٣/٥٠٥

البناء وأصل وزنه هاور، فوقع فيه قلب بين عينه ولامه تخفيفاً. وقد وقع ذلك في ألفاظ كثيرة من اللغة مثل قولهم: شاكي السلاح، أصله شائِك. ورجل صاتٌ عالي الصوت أصله صائتٌ. ويدل على ذلك قولهم: انهار ولم يقولوا انهرى، وهَرٍ مبالغةً في هَار"[1].

والسر في مجيء هذه الصيغة كما ذكر أحدهم:" شفا جُرُف" أي طرف سينهار؛ لأنه" هار" أي غير متماسك، فتكون الصورة أن الماء ينحر في الساحل، فيصنع شفة لها سطح وليس لها قاعدة تحتها، وهذه اسمها"شفا جُرُف"ونحن نعلم أنهم كانوا حين يحفرون الآبار ليأخذوا منها الماء كانوا يضعون في جدار البئر أحجاراً تمنع ردمه؛ لأن البئر إن لم يكن له جدار من حجارة قد ينهار بفعل سقوط الرمال من على فوهته، وهكذا تمنع الأحجار أي جزء متآكل من سطح البئر من الوقوع فيه، والجزء المتآكل هو جرف هَارٍ، وهكذا كان مسجد الضرار، ينهار بمن فيه في نار جهنم"[2]

نستخلص من كلّ ماسبق أن اللفظة القرآنية، تأتي على صيغة متميزة، تنبثق من خلالها المعاني التي تعبر عن المعنى المراد خير تعبير.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:٣٥/١١

(٢) تفسير الشعراوي:٥٥٠٣/٩ ومابعدها

التعريف والتنكير

وقف البلاغيون عند تعريف المسند إليه، وجرت العادة أن يتقدم التعريف على التنكير قال السعد في ذلك :"وقُدِم في باب المسند إليه التعريف على التنكير؛ لأنّ الأصل في المسند إليه التعريف وفي المسند بالعكس فتعريفه؛ لإفادة المخاطب أتم فائدة وذلك؛ لأنّ الغرض من الإخبار، هي إفادة المخاطب الحكم أو لازمه وهو أيضاً حكم؛ لأن المتكلم كما يحكم في الأوّل بوقوع النسبة بين الطرفين يحكم هنا بأنّه عالم بوقوع النسبة، ولاشك أنّ احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد :كانت الفائدة في الإعلام به أقوي، وكلما ازداد المسند والمسند إليـــه تخصيصا ازداد الحكم بعداً" (1)

وأسرار التعريف كثيرة، وقد تناولها النّحاة والبلاغيون واجتهدوا في شرحها والتطبيق عليها، كما أنّهم في التنكير والتعريف وقفوا أيضا عند غير المسند إليه قال صاحب التلخيص:

" ومن تنكير غيره للإفراد أو النوعية نحو: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن

(1) المطول:٧٠

مَّآءٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] و للتعظيم نحو: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[2]
وللتحقير نحو: "[3]﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا ﴿٣٢﴾ ﴾"[4]

أنواع تعريف المسند إليه :

أنواعه مبسوطة في كتب البلاغة كالتلخيص والإيضاح وغيرهما، وهي:

١. **الضمير**:إذا كان المقام مقام التكلم، ومقام الغيبة، وهو في القرآن كثير.
٢. **العَلَمية**:لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص، وإما للكناية، وإما لإيهام التلذذ أو التبرك به.
٣. **الموصولية**:وتكون إما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختص به سوى الصلة، وإما لاستهجان التصريح بالاسم، وإما لزيادة التقرير، وإما للتفخيم، وإما لتنبيه المخاطب على خطأ، وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر

---

(١) النور(٤٥)
(٢) البقرة(٢٧٩)
(٣) الجاثية(٣٢)
(٤) التلخيص:٦٩

٤. **الإشارة:** وتكون إما لتمييزه أكمل تمييز، وإما لبيان حاله في القرب والبعد أو التوسط، وإما للتنبيه وإما للاشارة إلى معهود بينك وبين المخاطب.

٥. **المعرّف باللام:**قد يأتي لواحد باعتبار عهديته في الذهن لمطابقته الحقيقة، أو الاستغراق.

٦. **الإضافة:**وتكون إما لأنه ليس للمتكلم احضاره في ذهن السامع بطريق أخصر، وإما لإغنائها عن تفصيل متعذّر أو مرجــوح لجهة، وإما لتضمّنها تعظيما لشـــأن المضاف إليه. (١)

ومع أن أكثر البلاغيين كان وقوفهم عند أسرار التعبير بتعريف المسند إليه بأحد هذه المعارف،إلا أن المفسرين، وبعض البلاغيين، لم يقصروا أسرار التعريف، والتنكير، على المسند إليه، بل وقفوا أيضا عند غيرهما، وقد آثرت في هذا المبحث طريقة المفسرين، فأشرت إلى بعض ماذكروه في غير المسند والمسند إليه.

صور من التعريف والتنكير في السورة:

١ –قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾

(١) الإيضاح:١/٢/١٠ ومابعدها

اختلف النحاة في إعراب لفظة (براءة)، فمنهم من قال: بأنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير:(هذه براءة)، ومنهم من قال بأنها مبتدأ خبره:(إلى الذين عاهدتم من المشركين).

وهذا الرأي أورده البيضاوي في كتابة متأثرا فيه بصاحب الكشاف [1] فقال:

" ويجوز أن تكون (بَرَاءةٌ) مبتدأ لتخصصها بصفتها[2] والخبر (إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)"[3] .

وضعّفه القونوي بقوله:"وإنما زيفه؛ لأن المخاطب لم يعهد عنده براءة صادرة من الله تعالى حتى يخبر عنها بأنها واصلة إلى المشركين، فالأولى كونها خبراً"[4]

وعلى هذا تكون (براءةٌ) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره(هذه)، إلا أن ابن عاشور،وهو يعلل للسر البلاغي في تنكير هذه اللفظة تَبعَ ما أشار إليه البيضاوي، الذي ربما كان فيه متأثراً بالنحاس[5]

---

(١) الكشاف:٧/٣

(٢) صفتها قوله تعالى:(من الله ورسوله)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٤/١

(٤) حاشية القونوي:١٤٣/٩.

(٥) إعراب القرآن، للنحاس:٢٠١/١

فقال:

"وتنكير (براءة) تنكير التنويع، وهي مبتدأ، وسوغ الابتداء به ما في التنكير من معنى التنويع للإشارة إلى أنّ هذا النوع كاف في فهم المقصود"[(١)]

فلفظ براءة جاء مفيداً لمعنى فسخ العهد، ونبذه؛ ليأخذ المعاهَدون حِذرهم.[(٢)]

والمرادبـ(المشركين) في الآية الناكثون، فهو لفظ عام خُصَّ منه البعض، والمخصوص قوله تعالى:(إلا الذين عهدتم من المشركين)[(٣)]

وفي قوله تعالى:

٢ - فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) ﴾

المقصود بـ(الأشهر) في قوله تعالى:(أربعة أشهر)،هي: الأشهر الحرم‘والمعنى كما قال الزمخشري: "وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤوا لا يتُعرض لهم، وهي الأشهر

---

(١) تفسير تحرير التنوير:١٢٢/١٠

(٢) يُنظر:السابق:١٠٣/١٠

(٣) يُنظر:حاشية القونوي١٤٥/٩

الحرم في قوله: (فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ) وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها"[1]

غير أن بعض المفسرين لايرون ذلك، وسيرد الرد على هذا القول عند التطرق إلى الآية الخامسة، والتي سأجعلها عَقِب هذه الآية مباشرة لارتباطهما.

قال الرازي:" هذا تأجيل من الله للمشركين أربعة أشهر، فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطه إلى الأربعة، ومن كانت مدته أقل من أربعة أشهر رفعه إلى الأربعة"[2]

نستشف من هذا القول أنّ السر في تنكير لفظة(أربعة) وتمييزها بلفظة (أشهر) التي جاءت نكرة هي الأخرى؛ لأن الهدف هنا هوضبط المدة، بدليل تعريفها فيما بعد في الآية الخامسة. في قوله تعالى:

٣- ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

(١) الكشاف:٧/٣

(٢) مفاتيح الغيب:١٧٥/١٥/٨

(الأشهر الحرم)المقصودة هنا هي:"التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا"[1]

وقيل هي:" رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وهذا مخل بالنظم ،مخالف للإجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها"[2]

وليس في النظم تعيين الأشهر، وتخصيصها برجب،وذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم قال القونوي:" الظاهر أن يراد بالأشهر الحرم هنا أربعة أشهر مذكورة في(فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) التي نزلت في أولها البراءة وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ،فلذا وصف المصنف الأشهر الحرم في قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) بقوله :"الذي أبيح للناكثين أن يسيحوا ؛لأن ذلك هو مقتضى نظم القرآن فاللام في الأشهر الحرم للعهد، والمعهود هو الأشهر الأربعة السابقة لا الأشهر الحرم المعروفة فيما بين أهل الإجماع وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ فإن ذلك مع إخلاله بالنظم مخالف للإجماع؛ لأن الإجماع

(١) الكشاف"١٣/٣ المقصود بها ماورد في آية(٢)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٥/١

على أن حرمة القتال في الأشهر الحرم المشهورة بينهم"[1]

ويجوز أن تكون (الألف، واللام) للعهد فالمرادُ بهذه الأشهرِ الأشهرُ المتقدمة في قوله تعالى: (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) قال السمين الحلبي: "العربُ إذا ذكرت نكرةً، ثم أرادت ذِكْرها ثانياً أتت بمضمرِه أو بلفظه معرَّفاً بأل، ويجوز أن يُرادَ بها غيرُ الأشهرِ المتقدمة فلا تكـــون أل للعهد، والوجهان مقولان في التفسير"[2]

والحقيقة أنّ قوله: "ويجوز أن يُرادَ بها غيرُ الأشهرِ المتقدمة فلا تكون أل للعهد" مردود عليه بما ذكره الزمخشري بقوله: "(الأشهر الحرم) التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا"[3] .

وبما قاله أبو السعود:"والمعنى إذا انقضى (الأشهر الحرم) وانفصلت عما كانت مشتملةً عليه ساترةً له انفصالَ الجلدِ عن الشاة"[4]

وهما يؤكدان أن المراد بالأشهر هنا الأشهر التي جاءت نكرة و المذكورة في قوله تعالى :

(١) حاشية القونوي:١٥٥/٩

(٢) الدر المصون:٤٤٣/٣

(٣) الكشاف:١٣/٣

(٤) إرشاد العقل السليم:٤٣/٣

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾

كما جاءت لفظة:(مرصد) في الآية نكرة، والمقصود بهافي الآية:"كلّ ممرّ ومجتاز ترصدونهم به"[(١)]

و"(كلّ) مستعملة في تعميم المراصد المظنون مرورهم بها، تحذيراً للمسلمين من إضاعتهم الحراسة في المراصد فيأتيهم العدوّ منها، أو من التفريط في بعض ممارّ العدوّ فينطلق الأعداء آمنين فيستخفّوا بالمسلمين ويتسامع جماعات المشركين أنّ المسلمين ليسوا بذوي بأس ولا يقظة فيؤول معنى (كل)هنا إلى معنى الكثرة للتنبيه على الاجتهاد في استقصاءا لمراصد"[(٢)].

أضيفت (مرصد) إلى (كل) ،فأفادت المعرفة هنا تعميم المراصد المظنون مرورهم بها، فهي مراصد يمكن للمسلمين تخمينها بحسب معرفتهم لتلك الأماكن.

وفي قوله تعالى:

---

(١) الكشاف:١٤/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١١٥/١٠

٤ - ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

(أذان) اسم مصدر نكرة ،و لايجوز الابتداء بالنكرة لذا قال البيضاوي:"ورفعه كرفع(بَرَاءةٌ) على الوجهين"[١]

أذان أي:" إعلامٌ وإنما قيل: (إلى الناس) أي كافةً لأن الأذانَ غيرُ مختصٍ بقوم دون آخَرين كالبراءة الخاصة بالناكثين ،بل هو شاملٌ لعامة الكفرةِ وللمؤمنين أيضاً"[٢]

وجاء قوله تعالى:(يوم الحج)، معرفا بالإضافة، لأن المقصود (يوم عرفة)، فكل أعمال الحج تكون في ذلك اليوم.

فقد وجّه البيضاوي التعريف بقوله:"قيل يوم عرفة لقوله _صلى الله عليه وسلم _" الحج عرفة ووُصف الحج بالأكبر، لأن العمرة تسمى الحج الأصغر، أو لأنّ المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال."[٣]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٤/١

(٢) إرشاد العقل السليم:٤١/٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٥/١

﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴿٣﴾﴾

(فهو خير لكم)، جواب الشرط، جملة اسمية، المسند فيها(هو)، يقول البيضاوي :(فَهُوَ) فالتوب (خير لكم)"[1]

وقوله تعالى:"(فإن تبتم) أي عن الكفر والغدر (فهو) أي ذلك الأمر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أي لأنكم تفوزون في الوفاء بالأمان في الدنيا، وفي الإسلام بالسلامة في الدارين."[2]

من خلال ما تقدم يظهر لنا_والله أعلم_ السر في تعريف الأمر العظيم وهو التوبة بالضمير(هو)، وذلك لتعظيمه، في حين جاءت(خير) نكرة لتفيد الشمول في الدارين،وهذا ما يمكن أخذه من قوله :" أي لأنكم تفوزون في الوفاء بالأمان في الدنيا، وفي الإسلام بالسلامة في الدارين.

وفي قوله تعالى:

٥-﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ

(١) السابق بصفحته

(٢) نظم الدرر:٢٧٠/٣

عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

جاء التعريف بالاسم الموصول في قوله تعالى:(إلا الذين عاهدتم من المشركين)، ليعمّ كلّ من تحققت فيه الصلة، قال ابن عاشور:"والموصول هنا يعمّ كلّ من تحقّقت فيه الصلة."[١]

كما جاءت لفظة:(شيئاً) نكرة:" للمبالغة في نفي الانتقاص؛ لأنّ كلمة (شيء) نكرة عامّة فإذا وقعت في سياق النفي أفادت انتفاء كلّ ما يصدق عليه أنّه موجود"[٢]

وفي قوله تعالى:

٦-﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

وردت لفظة(أحد) نكرة،والمقصود بها ما قاله المفسرون:"وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن ،وينظر فيما أُمر به ونُهي عنه، فأَجِرْه، ثم أبلغه الموضع الذي

(١) تفسير التحرير والتنوير:٢١٣/١٠

(٢) السابق:١١٣/١٠

يأمن فيه"[1]

وقد "جيء بلفظ(أحد)من المشركين دون لفظ (مشرك) للتنصيص على عموم الجنس؛ لأنّ النكرة في سياق الشرط مثلها في سياق النفي - إذا لم تُبنَ على الفتح احتملت إرادة عموم الجنس واحتملت بعض الأفراد، فكان ذكر (أحد) في سياق الشرط تنصيصاً على العموم"[2]

فجاءت"أحد"نكرة لتدل على عموم الجنس، وساغ الابتداء بالنكرة؛ لأن المراد النوع[3]

أيْ: أيّ مشرك كان مهما كانت صفته وسنه.

وجاء تعريف (المشركين) بـ(أل) العهد في قوله تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارتك)؛ لأنه سبق ذكرهم في قوله تعال: (فاقتلوا المشركين)"[4]

كذلك جاء التعريف باسم الإشارة في قوله تعالى:(ذلك بأنهم

(١) زاد المسير:٥٦٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١١٧/١٠ ومابعدها

(٣) السابق بصفحته

(٤) التوبة:(٥)

قوم لا يعلمون)، فالمراد بذلك أي:" الأمر، يعني الأمر بالإجارة في قوله: (فَأَجِرْهُ)."[1]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:

٧-﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

حيث جاءت لفظة(عهد) نكرة ولعل السبب:" تعجب من أن يكون للمشركين شيء اسمه عهد؛ لأنهم لا يعرفون إلاَّ نقض العهد، ولا يتمسكون بالعهود ولا يحترمونها، إذن يحق التعجب من أن يكون لهم عهد بينما في الحقيقة لا عهد لهم، وهذا التعجب للاستهزاء والإنكار"[2]

أما التعريف بالاسم الموصول في قوله تعالى"(إلا الذين عاهدوهم عند المسجد الحرام) و هم بنو ضمرة، وبنو جذيمة بن الدّيل، من كنانة؛ وبنو بكر من كنانة جاء" للعهد، وهم أخصّ من

(١) الكشاف:١٥/٣

(٢) تفسير الشعراوي:٤٨٩٨/٨

الذين مضى فيهم قوله: (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً)[1] والمقصود من تخصيصهم بالذكر: التنويه بخصلة وفائهم بما عاهدوا عليه ويتعّين أن يكون هؤلاء عاهدوا النبي _صلى الله عليه وسلم_ في عمرة القضاء عند المسجد الحرام، ودخلوا في الصلح الذي عقده مع قريش بخصوصهم، زيادة على دخولهم في الصلح الأعمّ، ولم ينقضوا عهدهم، ولا ظاهروا عدوّا على المسلمين، إلى وقت نزول براءة."[2]

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قال البيضاوي عن هاتين الآيتين:

جاء قوله تعالى:(لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة)" تفسير لا

(1) التوبة(٤)

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٢٢/١٠

تكرير[1]، وقيل الأول عام في الناقضين، وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود، أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم."[2]

وقال الشهاب شارحا:"ولا تكرار؛ لأن الأوّل على الخصوص لقوله فيكم والثاني على العموم لقوله في مؤمن لشموله لمن سيؤمن من بعد نزول الآية"[3]

وعلى هذا يكون تنكير كلٍّ من(إِلّا)، (ذِمة) في الآية الأولى على رأي البيضاوي لإفادة العموم، وفي الثانية لإفادة الخصوص، وعلى رأي الشهاب: في الأولى على الخصوص بدليل فقوله: (فيكم) أي: خاص بالمؤمنين في تلك المدة، والثاني على العموم ليشمل عامة المؤمنين. وفي قوله تعالى:

٩ - ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾

---

(١) المقصود بهذا القول ماجاء في آية(١٠) ، وهو إعادة جملة:(لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمة) باللفظ نفسه .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٣٠/٤

جاء التعريف باسم الإشارة(أولئك)والمقصود: الموصوفون بما عُدّد من الصفات السيئةِ. [1]

والقَصر عن طريق تعريف الطرفين إمّا أن يكون للمبالغة في اعتدائهم؛لأنّه اعتداء عظيم باطني على قوم حالفوهم وعاهدوهم، ولم يُلحقوا بهم ضرّا مع تمكّنهم منهم، وإمّا أن يكون قصر قلب، أي: هـــم المعتدون لا أنتمْ لأنّهم بَدَأوكم بنقض العهد [2]

وفي قوله تعالى:

١٠-﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

نُصب (أول مرة) على المصدرية،وإضافة (أوّل) إلى (مرة) من إضافة الصفة إلى الموصوف والتقدير: مرة أولى فمعنى: (بدءوكم أول مرة) أي:بدأوكم أوّل بدء بالنكث، فالمَرّة اسم مبهم للوحدة [3]

---

(١) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٤٧/٣

(٢) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٢٧/١٠

(٣) يُنظر:السابق:١٣٤/١٠

وأضاف ابن عاشور على كلامه السابق قوله:"و (أوّل) اسم تفضيل جاء بصيغة التذكير، وإن كان موصوفه مؤنّثاً لفظاً؛لأن اسم التفضيل إذا أضيف إلى نكرة يلازم الإفراد والتذكير بدلالة المضاف إليه ويقال: ثاني مرة وثالث مرّة."[1]

وقد جاء المفعول(قوماً) نكرة موصوفا أي قوما حالهم نكث الأيمان، وقصد إخراج الرسول - صلى الله عليه وسلم- والبدء في المعاداة"[2]

وفي قوله تعالى:

١١- ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾

انتصب (أول مرّة) هنا على الظرفية؛ لأنّ المرّة هنا لّما كانت في زمن معروف لهم وهو زمن الخروج إلى تبوك ضمنت معنى الزمان "[3]وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى نكرة اقتصر على الإفراد والتذكير ولو كان المضاف إليه غير مفرد ولا مذكر؛ لأنّ في المضاف

(١) السابق بصفحته

(٢) حاشية القونوي:١٧٣/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٨٣/١٠

إليه دلالة على المقصود كافية"[١]

وفي قوله تعالى:

١٢- ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾

جاء التعريف بالإضافة في قوله تعالى:(صدور قوم)فإضافة (صدور) إلى (قوم مؤمنين)،دون ضمير المخاطبين" .يدلّ على أنّ الذين يشفي الله صدورهم بنصر المؤمنين طائفةٌ من المؤمنين المخاطبين بالقتال، وهم أقوام كانت في قلوبهم إحن على بعض المشركين الذين آذوهم وأعانوا عليهم، ولكنّهم كانوا محافظين على عهد النبي_ صلى الله عليه وسلم_ فلا يستطيعون مجازاتهم على سوء صنيعهم، وكانوا يودّون أن يؤذَن لهم بقتالهم، فلمّا أمر الله بنقض عهود المشركين سُرّوا بذلك، وفرحوا، فهؤلاء فريق تغاير حالته حالة الفريق المخاطبين بالتحريض على القتال والتحذيرِ من التهاون فيه." [٢].

وفي قوله تعالى:

(١) السابق:٢٨٤/١٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير٢٣٤/١٠

١٣- ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

فجملة:(أولئك حبطت أعمالهم)" ابتداءُ ذمٍّ لهم، وجيء باسم الإشارة لأنّهم قد تميّزوا بوصف الشهادة على أنفسهم بالكفر"[1]

كذلك جاء التعريف بالإضافة في قوله تعالى:(مساجد الله):أي شيئا من المساجد أي إنها جمع معرف بالإضافة فهو من الجمع المحلى باللام عام حيث لا عهد وهنا كذلك ينعم ويدخل المسجد الحرام وهؤلاء أولياء ولا دخل في العموم لكونه واقعا في سياق النفي"[2]

وقوله تعالى:(وفي النار هم خالدون) أي:" عطف على حبط وخبر آخر لأولئك واختيرت الجملة الاسمية هنا لتدل على الدوام بخلاف حبط فإنه أمر غير قار"[3]

وفي قوله تعالى:

---

(١) السابق:٢٤١/١٠

(٢) حاشية القونوي: ١٧٨/٩

(٣) السابق:١٧٩/٩

١٤-﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

جاء في معنى الآية:" أي إنما تستقيم عَمَارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية"[١]

وقيل: جاء التعبير في قوله تعالى:(فعسى أولئك) باسم الإشارة:" للتنبيه على أنّهم استحقّوا هذا الأمل فيهم بسبب تلك الأعمال التي عُدّت لهم"[٢]

ومن التعريف بالإضافة ما جاء في قوله تعالى:

١٥-﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

حيث أضيفت السقاية إلى الحاج ، الذي جاء معرفا بألـ وتعريفه" تعريف الجنس"[٣]

كما أضيفت (العمارة)إلى (المسجد الحرام)،فاكتسبت

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٩/١

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٤٢/١٠

(٣) السابق:١٤٣/١٠

التعريف.

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾

جاء المسند (الفائزون) معرفا بـ(أل) ليفيد القصر، وهو قصر (ادّعائي) [١] للمبالغة في عظم فوزهم حتّى إنّ فوز غيرهم بالنسبة إلى فوزهم يُعَدّ كالمعدوم.

والإتيان باسم الإشارة (أولئك)للتنبيه على أنّهم استحقوا الفوز؛ لأجل تلك الأوصاف التي ميزّتهم: وهي الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس [٢]

وفي الكشاف:"جاءت هذه الجملة بتعريف الطرفين لتفيد التخصيص أي:"(أولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم" [٣].

(١) هذا نص عبارة ابن عاشور،لم أشأ التغيير فيها وإن كان لفظ (ادّعائي) في جانب القرآن الكريم لا يجوز من باب التأدب مع الله فيسمى: قصرا إضافياً.

(٢) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٤٨/١٠

(٣) الكشاف:٢٥/٣

ومما يُرجح كفة كونه للاختصاص تصريح الألوسي بقوله:" (وأولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الفائزون) أي: المختصون بالفوز العظيم أو بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة إلى فوزهم"(١)

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾

جاءت كلّ من(رحمة،رضوان،جنات،نعيم) نكرات، وذلك لسرٍّ بلاغي وهو ما ذكره البيضاوي بقوله:"وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف"(٢)

وقيل: "التنكير في(برحمة، ورضوان، وجنات) للتعظيم، بقرينة المقام، وقرينة قوله تعالى:(منه)

وقرينة كون تلك مبشرّاً بها"(٣).

وقيل:" أريد به الجنس فلذا جُعل مفرد مع أنه ثلاثة"(٤)

(١) روح المعاني:٢٦٣/٩/٥

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٩/١

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٥٠/١٠

(٤) حاشية القونهوي:١٨٤/٩

كذلك جاء تنكير(نعيم):"إشارة إلى كون المنافع خالية من المكدرات؛لأن النعيم مبالغة

في النعمـــة، ولا معنـــى للمبالغـــة فيهـــا إلا خلوهـــا مـــن المنغصات"[1]

وفي قوله تعالى:

١٨-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

جاء اسم الإشارة في قوله تعالى:(فأولئك هم الظالمون) مشيرا إلى المتولين" أي: أولئك المتولّون(هم الظالمون) بوضعهم الموالاةَ في غير موضعِها كأنّ ظلمَ غيرِهم كلا ظلمٍ عند ظلمِهم"[2] أي :كأن الظلم هذا مختص بهم دون غيرهم، وزاد ابن عاشور:

"و صيغة الحصر للمبالغة بمعنى أنّ ظلم غيرهم كلا ظلم بالنسبة لعظمة ظلمهم، والإتيان باسم الإشارة لزيادة تمييز هؤلاء أو هؤلاء، وللتنبيه على أنّ جدارتهم بالحكم المذكور بعد الإشارة

(١) مفاتيح الغيب :١٥:/١٣.

(٢) إرشاد العقل السليم:٥٤/٣

كانت لأجل تلك الصفات أعني استحباب الكفر على الإيمان"[١]

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

جاء في معنى قوله تعالى:(مواطن كثيرة): " يعني مواطن الحرب وهي مواقفها"[٢]

بدليل (ويوم حنين)أي:" وموطن يوم حنين، ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت"[٣] ذلك أنه لا يجوز عطف ظرف الزمان على ظرف المكان، فكان لابد من توحيد الظرفين.

والسرّ في تعريف(يوم حنين)، وتنكير(مواطن)هو أنّ الحقَّ سبحانه قد نصرهم في مواطن الحرب أي مواقعها، مثل يوم بدر، ويوم الحديبية، ويوم بني النضير، ويوم الأحزاب، ويوم مكة وكل

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٥١/١٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٠/١

(٣) السابق بصفحته.

هذه كانت مواقع نصر من الله للمسلمين، ولكنه في هذه الآية،يختص يوما واحداً بالذكر بعد الكلام عن المواطن الكثيرة، فبعد أن تحدث إجمالاً عن المعارك الكثيرة يقول: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إذن: فكثرة عدد المؤمنين في يوم حنين كان ظرفاً خاصًّا، أما المواطن الأخرى مثل يوم بدر فقد كانوا قلة، ويوم فتح مكة كانوا كثرة، ولكنهم لم يعجبوا، وبذلك يكون يوم حنين له مزية، فهو يوم خاص بعد الحديث العام"(١)

ومن ظاهر هذا الكلام يتبين لنا السرُّ في تنكير(مواطن) وذلك لقصد التعميم، وتعريف(يوم حنين) للتخصيص، كما وضحه قوله:" وبذلك يكون يوم حنين له مزية، فهو يوم خاص بعد الحديث العام"(٢)

وفي قوله تعالى:

٢٠ -﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(١) تفسير الشعراوي:٤٩٩٤/٨

(٢) السابق بصفحته

جاءت(نجس) في قوله تعالى: (إنما المشركون نجس)نكرة لتفيد المبالغة لأنهم" جُعِلوا نفسَ النَّجَس"[1] لخبث باطنهم أو؛ لأنه يجب أن يجتنبهم كما يُجتنب الأنجاس [2]

"وإضافة (العام) إلى ضمير (هم) لمزيد اختصاصهم بحكم هائل في ذلك العام"[3].

"ووصف (العام) باسم الإشارة لزيادة تمييزه وبيانه"[4].

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أشير باسم الإشارة (ذلك) "إلى القول المستفاد من (قالت اليهود) (وقالت النصارى)"[5]

---

(١) الدر المصون:٤٥٨/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/بتصرف

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٦٠/١٠

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٠/١٠

(٥) السابق:١٧٣/١٠

" إشارةٌ إلى ما صدر عنهم من العظيمتين، وما فيه معنى البُعد للدِلالة على بُعد درجةِ المشار إليه في الشناعة والفظاعة"(١)

قال ابن عاشور:

"والمقصود من الإشارة تشهير القول، وتمييزه، زيادة في تشنيعه عند المسلمين"(٢)

وفي قوله تعالى:

٢٢-﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

جاءت هذه الآيـــة كالبيان لقوله: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) (٣).

ولذا اختير ضمير الفصل، واللام في(الدّينِ) للجنس أي: "على سائر الأديان فينسخها،أو على أهلها فيخذلهم" (٤)

فالمراد من إتمام نوره:"إظهاره،وتفسير الجنس بسائر الأديان

(١) إرشاد العقل السليم:٥٩/٣

(٢) تفسير تحرير التنوير:١٦٨/١٠

(٣) آية (٣٢)

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٣/١

إشارة إلى أن المراد به الاستغراق لما عداه، وهو على إرجاع الضمير للدين"[1]، وهذا هو المقصود بكون هذه الجملة جاءت للبيان.

"واجتلاب اسم الموصول هنا : للإيماء إلى أنّ مضمون الصلة علّة للجملة التي بُنيت عليها .

جملة:(ويأبى الله إلا أن يتم نوره) [2]ولذلك كرر(ولو كره المشركون). [3]

و في قوله تعالى:

٢٣ -﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾

يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى: "(والذين يكنزون الذهب والفضة)" الكثير من الأحبار والرهبان فيكون في ذلك مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضنِّ به [4]

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٦١/٤

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٨٨/١٠

(٣) حاشية محيي الدين شيخ زاده: ٤٧٥

(٤) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٣/١

وتعريف الموصول للعهد، والمعهود الأحبار والرهبان، فحينئذ العدول من الظاهر وهو أن يقال: ويكنزون الذهب لابد من نكتة، وهي بيان دوام ذلك الوصف وثبوته بإيراد الجملة الاسمية والتعبير بالموصول للإشارة إلى علة الحكم أو للإيماء إلى وجه بناء"[1]

وقيل إن الموصول في قوله تعالى:(والذين يكنزون)"مراد به قوم معهودون يَعرِفون أنّهم المراد من الوعيد، ويعرفهم المسلمون، فلذلك لم يثبت أنّ النبي _صلى الله عليه وسلم_ أنَّبَ قوماً بأعيانهم"[2]

وفي قوله تعالى:

٢٤-﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

جاء التعريف بالموصول (ما كنتم) ؛للتنبيه على غلطهم فيما كنزوا؛ لقصد التنديم.[3]

(١) حاشية القونوي:٢١٢/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٧٦/١٠

(٣) يُنظر:السابق:١٨٠/١٠

وفي قوله تعالى:

٢٥- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

جاء التعريف بالإضافة إلى الضمير في قوله تعالى:(أنفسكم) للتنبيه على أنّ الأمّة كالنفس من الجسد.[(١)]

كذلك جاء التعريف باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ "لتفخيم المشار إليه"[(٢)] وقيل:"مجيء اسم الإشارة، إشارة إلى المذكور من عدّةِ الشهور الإثني عشر، وعدّة الأشهر الحرم،أي ذلك التقسيم هو الدين الكامل، وما عداه لا يخلو من أن اعتراه التبديل أو التحكّمُ فيه لاختصاص بعض الناس بمعرفته على تفاوتهم في صحّة المعرفة"[(٣)]

---

(١) يُنظر: السابق:١٨٦/١٠

(٢) إرشاد العقل السليم:٦٤/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٨٤/١٠

وعليه فـ"المشار إليه (الأشهر الأربعة الحرم)وقيل المشار إليه: (كون العدة محرمة) فجئ باسم الإشارة لما فيه من معنى البعد الدال على تفخيم المشار إليه"[1]

قيل:إن اللام في الدين تفيد الحصر كما سيأتي في بابه من هذا البحث، وقيل المقصود منه تحريم الأشهر الأربعة الحرم المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد"المشار إليه التحريم المفهوم من أربعة حرم لا نفسه لعدم استقامة المعنى وحينئذ صيغة البعد للتعظيم"[2]

وفي قوله تعالى:

٢٦ - ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

اللام في(النسيء)لام العهد فالمسند إليه لابد وأن يكون معلوما للسامع[3]

(١) روح المعاني :٢٨٣/٩.

(٢) حاشية القونوي:٢١٩/٩

(٣) يُنظر:السابق:٢٢١/٩

وجاء تنكير(عاما)في قوله تعالى:(يحلّونه عاما)، و في قوله تعالى:(يحرمونه عاما) للنوع أي: يحلّونه في بعض الأعوام، ويحرّمونه في بعض الأعوام[1]

والإتيان بالموصول في قوله تعالى: (عدّة ما حرم الله) [2]" للإشارة إلى تعليل عملهم في اعتقادهم بأنّهم حافظوا على عدّة الأشهر التي حرّمها الله تعظيماً"[3]

وفي قوله تعالى:

٢٧- ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

عُرّفت لفظة(الغار) للعهد"فهو غار يعلمه المخاطبون، وهو

(١) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٩٢/١٠

(٢) أي: ليوافقوا عدة الأشهر الحرم.

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٩٤/١٠

الذي اختفى فيه النبي _صلى الله عليه وسلم_ وأبو بكر حين خروجهما مهاجِريْن إلى المدينة"[١]

قال المرادي عن اللام العهدية:"هي التي عُهد مصحوبها، بتقدم ذكره أو بحضـوره حساً أو عِلماً كقوله تعالى:(إذ هما في الغار)"[٢]

كذلك جاء التنكير في لفظة(خير) في قوله تعالى:

٢٨- ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾

المراد بالخير في قوله تعالى:(ذلكم خير لكم)"جنس الخير، وماهيته"[٣] بدليل قول البيضاوي:"(إن كنتم تعلمون) الخيرَ علمتم أنه خير، أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله تعالى به صدق فبادروا إليه"[٤]

والسر في تنكيرها وإبهامها" لقصد توقّع خير الدنيا والآخرة

(١) السابق :٢٠٣/١٠

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني:١٩٤

(٣) حاشية القونوي:٢٣٣/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٦/١

من شعب كثيرة أهمها الاطمئنان من أن يغزوهم الروم ولذلك عُقب بقوله: (إن كنتم تعلمون) أي إن كنتم تعلمون ذلك الخير وشعبه"[1]

و في قوله تعالى:

٢٩- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

في قوله تعالى:(لو كان عرضاً) أي:"لو كان ما دعوا إليه نفعاً دنيوياً"[2]

قدّر البيضاوي اسم كان الذي لابد أن يكون معرفة وجاء هنا نكرة(عرضا)؛لأنّ معنى الكلام: لو كان ما دعوا إليه نفعا دنيويا.

وفي قوله تعالى:

٣٠- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٠٨

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٦

جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

المراد بالفتنة التي سقطوا فيها في قوله تعالى:(ألا في الفتنة سقطوا)" هي فتنة التخلف أو ظهور النفاق"[١] فالمراد:"جنس الفتنة"[٢]

قال ابن عاشور عن تعريفها :" هو:تعريف الجنس المؤذن بكمال المعرّف في جنسه، أي في الفتنة العظيمة سقطوا" [٣]

وفي قوله تعالى:

٣١- ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

المقصود بـ (حَسَنَةٌ)أي:"ظفر وغنيمة"[٤]، ونُكّرت "بقصد المشاكلة فذكر (إن) مع تنكير حسنة ولا يبعد أن يكون المراد نوع الحسنة"[٥]

---

(١) السابق :٤٠٧/١

(٢) حاشية القونوي:٢٤٦/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٢١/١٠

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

(٥) حاشية القونوي:٢٤٨/٩

وفي قوله تعالى:

٣٢-﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قيل عن الإضافة في قوله تعالى:(إيمانكم) أنها جاءت بقصد:" إظهار الإيمان، وإلاّ فَهُم لم يؤمنوا إيماناً صادقاً، والمراد بإيمانهم: إظهارهم الإيمان للناس، وليس لوقوع حقيقته منهم، وقد أنبأ عن ذلك إضافة الإيمان إلى ضميرهم دون تعريف الإيمان باللام المفيدة للحقيقة، أي بعد إيمان هو من شأنكم، وهذا تعريض بأنّه الإيمان الصوري غير الحقّ" (١)

وفي تنكير (طائفة)، قال ابن عاشور:

" آمن بعض المنافقين بعد نزول هذه الآية، وذكر المفسّرون من هذه الطائفة مخشيَّ بن حُمَيِّر الأشجعي لما سمع هذه الآية تاب من النفاق، وحسن إسلامه، فعدّ من الصحابة، وقد جاهد يوم اليمامة واستشهد فيه، وقد قيل: إنّه المقصود (بالطائفة) دون غيره فيكون من باب

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٥٢

إطلاق لفظ الجماعة على الواحد في مقام الإخفاء والتعمية"[1]

وفي قوله تعالى:

٣٣- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

جاء التعريف بالضمير(هي)" دلالة على عظم عذابها"[2] والمعنى: أن تلك العقوبة كافية لهم ولا شيء أبلغ منها، ولا يمكن الزيادة عليها"[3]،"(هي حسبهم) عقابًا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها"[4]

أما عن تنكير(عذاب مقيم) فلم أجد أبلغ مما ذكره الرازي حين قال:" ولقائل أن يقول: معنى كون العذاب مقيماً وكونه خالداً واحد، فكان هذا تكراراً .

والجواب: ليس ذلك تكريراً، وبيان الفرق من وجوه: الأول:

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٥٣/١٠

(٢) الكشاف:٦٥/٣

(٣) مفاتيح الغيب:١٠٢/١٥/٨

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

أن لهم نوعاً آخر من العذاب المقيم الدائم سوى العذاب بالنار والخلود المذكور أولاً، ولا يدل على أن العذاب بالنار دائم. وقوله: (ولهم عذاب مقيم) يدل على أن لهم مع ذلك نوعاً آخر من العذاب"[1]

ومن هذا تتبين لنا العلة في تنكير لفظة(عذاب)،وذلك لأنه نوع آخر يختلف عن العذاب بنار جهنم.

ومما جاء فيه تنكير لفظة (عذاب) أيضا في السورة قوله تعالى:

٣٤-﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

جاء تنكير (عذاب) "للتهويل"[2]والمراد به هنا عذاب جهنّم.

وفي قوله تعالى:

٣٥-﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

(١) مفاتيح الغيب:١٠٢/١٥/٨

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢٩٣/١٠

بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾

الإتيان بالموصول في قوله تعالى:(كالذين)"لأنّه أشمل وأجمع للأمم التي تقدّمت مثل عاد وثمود ممّن ضرب العرب بهم المثل في القوة"[١]

كذلك جاء التعريف باسم الإشارة في قوله تعالى:(أولئك حبطت أعمالهم)و (وأولئك هم المفلحون) "للإشعار بعلية الأوصافِ المُشارِ إليها للحبوط والخسران"[٢]

فلمّا كانت خسارتهم جسيمة،"حصرت الخسارة في هؤلاء بقوله:"(وأولئك هم الخاسرون) قصراً مقصوداً به المبالغة"[٣]

وقيل: جيء باسم الإشارة"للتنبيه على أنّهم بسبب ذلك كانوا جديرين بما سيخبر به عنهم فقال تعالى: (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون)"[٤]

---

(١) السابق:١٠/٢٥٧

(٢) إرشاد العقل السليم:٣/٨٢

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٦٠

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٠٩

كما جاء التعريف باسم الإشارة أيضا في قوله تعالى:

٣٦- ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

" للدلالة على أنّ ما سيرد بعد اسم الإشارة صاروا أحرياء به من أجلِ الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة"(١).

وفي قوله تعالى:

٣٧- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

جاء اسم الإشارة في قوله تعالى:(ذلك الفوز العظيم)" إشارة إلى ما وعد الله، أو إلى الرضوان: أي هو (ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) وحده دون ما يعدّه الناس فوزاً، والغرض من تعريف الطرفين هنا التخصيص، وهذا ما يوضحه قول الزمخشري:" أي هو (ٱلْفَوْزُ

(١) السابق: ٢٦٣/١٠

ٱلْعَظِيمُ) وحده دون ما يعدّه النّاس فوزاً[1]

وفي قوله تعالى:

٣٨-﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

" (وأولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة (لهم) بواسطة نعوتهم المزبورة (الخيرات) أي: منافعُ الدارين النصرُ والغنيمةُ في الدنيا والجنةُ والكرامة في العُقبى، وقيل: الحورُ وهي جمعُ خَيْرة تخفيف خيّرة (وأولئك هم المفلحون) أي: الفائزون بالمطلوب، لا مَنْ حاز بعضاً من الحظوظ الفانية عما قليل، وتكريرُ اسمِ الإشارة؛ تنويهٌ لشأنهم وربْءٌ لمكانهم (ذلك) إشارةٌ إلى ما فُهم من إعداد الله سبحانه لهم الجناتِ المذكورةَ من نيل الكرامةِ العظمى (الفوز العظيم) الذي لا فوزَ وراءه "[2]

"والإتيان باسم الإشارة؛ لإفادة أنّ استحقاقهم الخيرات، و

(١) الكشاف:٦٧/٣

(٢) إرشاد العقل السليم:٩١/٣

الفلاح كان لأجل جهادهم.[1]

وفي قوله تعالى:

٣٩- ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

جاء تنكير قربة في قوله تعالى:(أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ)" للتفخيم المغني عن الجمع أي قربةٌ عظيمةٌ لا يُكتَنه كُنهُها"[2]

كذلك جاء التعريف بـ(ألـ)في لفظة(الثلاثة)في قوله تعالى:

٤٠- ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

"للعهد فإنهم كانوا معروفين[3] بين الناس"[1].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٩١

(٢) إرشاد العقل السليم:٣/٩٦

(٣) كعب بن مالك.مُرارة بن الربيع،هلال بن أمية-رضي الله عنهم-

وفي قوله تعالى:

٤١ - ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

جاء تنكير (ظمأ)، وما عُطف عليه ليفيد التقليل، بدليل قول البيضاوي في تفسير قوله تعالى: (لا يصيبهم ظمأ) حيث قال:"شيء من العطش"[2]

فقول البيضاوي:(شيء من العطش)"إشارة إلى أن التنوين للتقليل "[3]

"والإشارة بـ (ذلك) في قوله تعالى:(ذلك بأنهم) إلى نفي كون التخلف عن الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ ثابتاً لهم، أي إن ما ينالونه من فضل وثواب وأجر عظيم يقضي بأنه ما يكون لهم أن

(١) تفسير التحرير والتنوير:٥١/١١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٥/١

(٣) حاشية القونوي:٣٦٣/٩

يتخلفوا عن رسول الله_صلى الله عليه وسلم_"[١]

وفي قوله تعالى:

٤٢ -﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

أي:"ولو علاَّقة"[٢] والعلاقة: "مثل في غاية القلة، ولما كان وقوع النفقة الصغيرة كثير قدمت على الكبيرة، والمقصود التعميم صراحة ،فلا يغني ذكر الصغيرة عن الكبيرة"[٣]

ومن التنكير ما جاء في قوله تعالى:

٤٣ -﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

معنى قوله تعالى:(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة)أي:" فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة"[٤]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:٥٦/١١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٥/١

(٣) حاشية القونوي:٣٦٥/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٥/١

وقوله من كل جماعة كثيرة معنى فرقة "والكثرة مستفادة من كون طائفة بعضا منه"[1]

نُكّرت لفظة (طائفة) لسرٍّ بلاغـي؛ "لأنّ تنكيرهـا مـؤذنٌ بـأنّ النفر للتفقه في الدين وما يترتـب عليـه مـن الإنـذار واجـب علـى الكفاية"[2]

يتبين لنا مما سبق أن الكلمـة القرآنيـة، تتمتـع بكـل عنايـة، واهتمام منذ لحظة الانتقاء إلى لحظـة توظيفهـا في السـياق القرآنـي، فورودها مرة نكـرة، ومـرة معرفـة، لا يكـون إلا قصـداً لتوضـيح دلالات بعينها، تخضع في خصوصيتها إلى السـياق ومـا يحملـه مـن معاني.

الدقة في استخدام حروف المعاني من خلال السياق

توطئة:

تتكون الجملة عند النحاة إما من اسمين ،أو من اسم وفعل، ولا تتكون من اسم وحرف أو فعل وحرف، وقد أكد على ذلك

---

(١) حاشية القونوي:٣٦٧/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٦١/١١

عبد القاهر الجرجاني في أول كتابه(دلائل الإعجاز)، ومع ذلك فقد وقف اللغويون والنحاة والبلاغيون عند نوع من الحروف أسموها حروف المعاني لشهرة هذه الحروف بمعان معروفة كدلالة (في)على الظرفية ودلالة (على) على الاستعلاء ودلالة (مِنْ) على ابتداء الغاية و(إلى) و(حتى) على انتهاء الغاية.

غير أن بعض هذه الحروف قد تخرج إلى معان أخرى تُعرف من السياق.

قال المرادي في بيان أهميّة دراسة معاني هـذه الحـروف:" لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنياً أكثرها علـى معـاني حروفـه ، صُـرفت الهمـم إلى تحصـيلها، ومعرفـة جملتهـا وتفصيلها،وهي مع قلتها، وتيسُّر الوقـوف علـى جملتهـا، قـد كثـر دورها، وبعد غورها،فعزَّت على الأذهان معانيها، وأبـت الإذعـان إلا لمن يعانيها"[1]

وقد وقف بعض المفسرين على بعض تلك الحروف فآثرت أن أقف على شيء من ذلك في السورة.

(١) الجنى الداني:١٩

صور من حروف المعاني في السورة:

قال تعالى:

١- ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

بدأت الآية بحرف الاستثناء (إلا)في قوله تعالى: (إلا الذين عاهدتهم من المشركين) "استثناء من المشركين"[1] وقد وضح الزمخشري ممَّ استُثني فقال:" وجهه أن يكون مستثنى من قوله تعالى: (فسيحوا في الأرض)[2]؛ لأنّ الكلام خطاب للمسلمين، ومعناه: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فقولوا لهم سيحوا، إلا الذين عاهدتم منهم، ثم لم ينقصوكم فأتموا إليهم عهدهم، والاستثناء بمعنى الاستدراك، وكأنّه قيل بعد أن أمروا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٥

(٢) التوبة:(٢)

الناكثين: ولكنّ الذين لم ينكثوا فأتموا عليهم عهدهم، ولا تجـروهم مجراهم، ولا تجعلوا الوفي كالغادر"[1]

كذلك جاء العطف بـ(ثم) في قوله: (ثم لم ينقصوكم شيئاً)"للتراخي الرتبي؛ لأنّ عدم الإخلال بأقلّ شيء ممّا عاهدوا عليه أهمّ من الوفاء بالأمور العظيمة ممّا عاهدوا عليه؛ لأنّ عدم الإخلال بأقلّ شيء نادر الحصول"[2]

و في قوله تعالى:

٢ - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

جاء (أحد) مرتفعاً بفعل الشرط، مُضمراً، يُفسره الظاهر، تقديره: وإنْ استجارك أحد استجارك، ولا يرتفع بالابتداء؛ لأنّ (إن) من عوامل الفعل لا تدخل على غيره[3]

و في قوله تعالى:

(١) الكشاف:١٢/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١١٢/١٠

(٣) يُنظر: الكشاف:١٥/٣

٣-﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾

جاء حرف الجر(في) في قوله تعالى:(في الدين) مفيداً معنى الظرفية[١] المجازية" تشبيهاً للملابسة القوية بإحاطة الظرف بالمظروف زيادة في الدلالة على التمكّن من الإسلام وأنّه يَجُبُّ ما قبله"[٢]

و في قوله تعالى:

٤-﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

دخلت الهمزة على (لاَ تقاتِلُونَ) تقريراً بانتفاء المقاتلة، ومعناه: الحضّ عليها على سبيل المبالغة"[٣]

وهو تحريض على القتال؛ لأنّ الهمزة دخلت على النفي

(١) الظرفية هي المعنى الأصلي لحرف الجر(في)، سواء كانت ظرفية حقيقة أم مجازية، و لايثبت البصريون غيره. الجنى الداني:٢٥٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٢٨/١٠

(٣) يُنظر:الكشاف:١٨/٣

للإنكار؛ فأفادت المبالغة في الفعل [1]

وقد أورد ابن هشام هذه الآية شاهدا على معنى العرض والتحضيض،وذكر أن معناهما:" طلب الشيء،لكن العرض طلبٌ بلينٍ، والتحضيض طلب بحثّ، وتختص (ألا) بالفعلية"[2]

قال ابن عاشور معلقاً على ما جاء به ابن هشام:"وجَعَل في (المغني) هذه الآية مثالاً لهذا الاستعمال على طريقة المبالغة في التحذير:" ولعلّ موجب هذا التفنّن في التحذير من التهاون

بقتالهم مع بيان استحقاقهم إياه: أن كثيراً من المسلمين كانوا قد فرحوا بالنصر يوم فتح مكة ومالوا إلى اجتناء ثمرة السلم، بالإقبال على إصلاح أحوالهم وأموالهم، فلذلك لمّا أمروا بقتال هؤلاء المشركين كانوا مظنّة التثاقل عنه خشية الهزيمة، بعد أن فازوا بسُمعة النصر."[3]

و في قوله تعالى:

٥-﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ

---

(١) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٧

(٢) مغني اللبيب:١/٦٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٣٢

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

جاءت(أَمْ) منقطعة[١]، ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان. والمعنى: أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه، حتى يتبين الخُلّص منكم، وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي :بطانة، من الذين يضادّون رسول الله -صلى الله عليه وسلم -والمؤمنين رضوان الله عليهم"[٢] والسرّ في مجيئها، لإفادة الإضراب.

والكلام بعد (أم) المنقطعة له حكم الاستفهام دائماً، فقوله: (أم حسبتم) في قوة (أحسبتم)، والاستفهام المقدّر إنكاري"[٣] كذلك جاءت"(لما)، وهي حرف للنفي" تجزم الفعل المضارع وتصرف معناه إلى المضي"[٤]

و" معناها التوقع، وقد دلّت على أنّ تبيّن ذلك، وإيضاحه متوقع كائن، وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين

(١) اختُلف في معنى (أم)المنقطعة ،فقيل: إنها تقدر بـ(بل)، وقيل:إن الأكثر أن تـدلَّ على الإضراب مع الاستفهام. الجنى الداني:٢٠٥

(٢) الكشاف:٢٠/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٣٧/١٠

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني:٥٩٢

المخلصين"[1]

و في قوله تعالى:

٦- ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

أُكّدَ الكلامُ بـ (قد) "لتحقيق هذا النصر، لأنّ القوم كأنّهم نسوه،أو شكّوا فيه ،فنزلوا منزلة من يحتاج إلى تأكيد الخبر."[2]

والباء في قوله تعالى(بما رحبت)" بمعنى مع[3]، أي مع رحبها ، وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجارّ والمجرور في موضع الحال، كقولك: دخلت عليه بثياب السفر، أي ملتبساً بها لم أحلها، تعني

(١) الكشاف:٢٠/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٥٥/١٠

(٣) لم يرد معنى (الملابسة) عند ابن هشام، و المرادي ، وأقرب معنى وجدته لها عندهما يعني -(المصاحبة) وجعل المرادي لها علامتان: أن يحسن في موضعها(مع)وأن يغني عنها وعن مصحوبها الحال وهو ماذكره الزمخشري وابن عاشور في تفسير هذه الآية إلا أنهما جعلاها للملابسة.يُنظر:مغني اللبيب:١٠٣/١والجنى الداني:٤٠

مع ثياب السفر"[1]

وهذا ما جعل ابن عاشور يصرح بأنها" للملابسة، و (ما) مصدرية[2]، والتقدير: ضاقت عليكم الأرض حالة كونها ملابسة لرحبها أي سعتها: أي في حالة كونها لا ضيق فيها"[3]

وفي قوله تعالى

٧- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

الباء في قوله تعالى: (بالهدى) أفادت الملابسة،أي أن القرآن الكريم ملتبساً (بالهدى) [4]

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا

(١) الكشاف:٢٩/٣

(٢) (ما) مصدرية غير وقتية وغير الوقتية هي التي لا تقدر مع صلتها بمصدر ولا يحسن تقدير الوقت قبلها.يُنظر: الجنى الداني:٣٣١

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٥٧/١٠

(٤) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٦١/٣

وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

جاءت (ثم) للعطف على قوله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) في الآية السابقة لها وهي" دالّة على التراخي الرتبي، فإنّ نزول السكينة ونزول الملائكة أعظم من النصر الأول يوم حنين، على أنّ التراخي الزمني مراد؛ تنزيلاً لعظم الشدة وهول المصيبة منزلة طول مدّتها، فإن أزمان الشدّة تخيّل طويلة وإن قَصُرت."(1)

وإعادة حرف الاستعلاء (على) بعد حرف العطف في قوله تعالى:(وعلى المؤمنين)" تنبيه على تجديد تعليق الفعل بالمجرور الثاني للإيماء إلى التفاوت بين السكينتين: فسكينة الرسول - عليه الصلاة والسلام - سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف"(2)

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ

(1) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٥٧ ومابعدها

(2) تفسير التحرير والتنوير ١٠/١٥٨

وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٖ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

جاءت (حتّى) [١]في قوله تعالى:(حتى يُعطوا) مفيدة معنى انتهاء الغاية،فهي هنا غاية للقتال، أي "يستمرّ قتالكم إيّاهم إلى أن يعطوا الجزية [٢]

أما(عن) في قوله تعالى:(عن يد) حرف أفاد المجاوزة[٣]أيّ: "يدفعوها بأيديهم ولا يقبل منهم إرسالها ولا الحوالة فيها، والمراد يَد المعطي أي :يعطوها غير ممتنعين ولا منازعين في إعطائها وهذا كقول العرب: (أعطى بيده) [٤]" إذا انقاد فـ(عن يد) تأكيد لمعنى (يعطوا) للتنصيص على الإعطاء .

و في قوله تعالى:

---

(١) حتى الجارّة ومعناها انتهاء الغاية، و مجرورها إما أن يكون اسما صريحا نحو(حتى حين)،أو مصدراً مؤولاً من (أن) والفعل المضارع كما في هذه الآية. الجنى الداني:٥٤٢

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٦٦

(٣) وهو أشهر معانيها. الجنى الداني:٢٤٥

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٦٦

١٠ - ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

أُفتتح الكلام بحرف التوكيد (إنّ)"للاهتمام بمضمونه لتتوجّه أسماع الناس وألبابهم إلى وعْيِهِ"[(١)]

و في قوله تعالى:

١١ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ ضُمِّن الفعل (اثّاقلتم) معنى الميل والإخلاد فعدي بحرف الجر(إلى) والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه[(٢)] "كأنّه تثاقلٌ يطلب فاعله الوصول إلى الأرض للقعود والسكون بها."[(٣)]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٨٠/١٠

(٢) يُنظر:الكشاف:٤٤/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٩٧/١٠

أما (مِنْ) في قوله تعالى : (من الآخرة) فقد أفادت معنى البدل:"أي بدل الآخرة"[1]

كما جاء حرف الجر (في)في قوله تعالى:(فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)"لتفيد معنى المقايَسة، وهي الداخلة على تالٍ يقصد تعظيمه، وتحقير مَتلُوّه"[2]

و في قوله تعالى:

١٢-﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾

وقوله تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴿٤٠﴾ ﴾

جاء التعبير بـ(إلا) وهي (إن) الشرطية مقترنة (بلا النافية) قال ابن هشام:"إن المكسورة الخفيفة ترد على أربعة أوجه أحدها: أن تكون شرطية وقد تقترن بلا النافية فيظُنّ من لا معرفة له أنها الاستثنائية نحو(إلا تنصروه) وقوله (إلا تنفروا يعذبكم)" [3]،"فهي

(١) الجنى الداني:٣١٠

(٢) السابق:٢٥١

(٣) مغني اللبيب:٢٢/١

مركبة من(إن) الشرطية و(لا) النافية وهي حرفان لا حرف واحد[1]

و في قوله تعالى:

١٣-﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)﴾

عُدي الفعل (بَعُد) في قوله تعالى:(بعدت) بحرف الجر (على) لتضمنه معنى ثقلت[2]

و في قوله تعالى:

١٤-﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)﴾

جاء التعبير بحرف الجر(في)في قوله تعالى: (في ريبهم) للظرفية المجازية، فقد أفادت معنى إحاطة الريب بهم أيّ :تمكّنه من

(١) الجنى الداني:٥٢٢

(٢) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:٢٠٩/١٠

نفوسهم.[1]

و في قوله تعالى:

١٥-﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

التعبير بحرف الاستدراك(لكن)جاء للاستدراك عما يُفهم من مقدم الشرطيةِ، فإن انتفاءَ إرادتِهم للخروج يستلزم انتفاءَ خروجِهم، وكراهةَ الله تعالى انبعاثهم تستلزم تثبيطَهم عن الخروج فكأنه قيل: "ما خرجوا ولكن تثبَّطوا"[2]

و في قوله تعالى:

١٦-﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

جاء التعبير بحرف الجر(في) في قوله: (وفيكم سمّاعون لهم) دون حرف (من) فلم يقل : (ومنكم سمّاعون لهم)،أو (ومنهم

(١) يُنظر:السابق:٢١٤/١٠

(٢) إرشاد العقل السليم:٧٠/٣

سمّاعون)،"لئلا يتوهّم تخصيص السمّاعين بجماعة من أحد الفريقين دون الآخر؛لأنّ المقصود أنّ السمّاعين لهم فريقان: فريق من المؤمنين ،وفريق من المنافقين أنفسهم ،مبثوثون بين المؤمنين؛ لإلقاء الأراجيف والفتنة وهم الأكثر فكان اجتلاب

حرف (في) إيفاء بحقّ هذا الإيجاز البديع"[1]

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

أفاد ظاهر الكلام أنّ اللام في قوله:(لك) لام العلّة ومعناها هنا (لأجلك) وهو مجمل يبيّنهُ قوله تعالى:(لقد ابتغوا الفتنة من قبل) والمعنى اتّبعوا فتنة تظهر منك، أي: في أحوالك وفي أحوال المسلمين[2]

وفي قوله تعالى:

١٨-﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ

(١) تفسير التحرير التنوير:١٠/٢١٨

(٢) يُنظر: السابق:١٠/٢١٩

جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

جاء التعبير بـ (ألا) وهي :حرف استفتاح يؤتى به لأجل ـ"استفتاح الكلام، وتنبيه المخاطب، وهي تدخل على الجملة الاسمية، والفعلية، وعلامتها صحة الكلام بدونها"[1] وإذا جاءت للتنبيه دلت على تحقق مابعدها"وإفادتُها التحقيقَ من جهة تركيبها من الهمزة و(لا) ،وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق" [2] والإتيان بها هنا" للتنبيه على ما بعدها من عجيب إذ عاملهم الله بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة" [3]

وفي قوله تعالى:

١٩-﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ﴾

جاء التعبير بحرف العطف(أو) [4] لـ" توخي إظهار نفي أن يتفاوت جوابه بتفاوته وقوعا وعدم وقوع كما يقال: صم أو لا

(١) الجنى الداني:٣٨١

(٢) مغني اللبيب:٦٨/١

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٢١/١٠

(٤) مذهب الجمهور أنها تُشرك في الإعراب لا في المعنى. يُنظر: الجنى الداني:٢٢٧

تصم ،فإني لا اترك الصيام ،توهم من تخاطب أنك تطلب منه أن يصوم وينظر في حالك أو لا يصوم وينظر ليتبين ثباتك على الصيام صام هو، أو لم يصم [1]

وفائدة التعبير بهذا الحرف" المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول "[2]

ومثله قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

وفي قوله تعالى:

٢٠-﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

عُدي فعل(التربص) بحرف(الباء)؛لأن التربص يعني:انتظار

(١) يُنظر:مفتاح العلوم:٤٣٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٨

حصول شيء مرغوب حصوله وأكثر استعماله أن يكون انتظارَ حصول شيء لغير المنتظِر؛ ولذلك "كثرت تعدية فعل التربّص بالباء، لأن المتربّص ينتظر شيئاً مصاحباً لآخرِ هو الذي لأجله الانتظار."(1)

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

جاءت (اللام) في قوله تعالى (ليعذّبهم)"للتعليل: تعلّقت بفعل الإرادة للدلالة على أنّ المراد حكمة وعلّة فتغني عن مفعول الإرادة"(2)

وفي قوله تعالى:

٢٢- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

أُدخلت (في) على الصدقات مع أنّ اللمز في توزيعها لا في

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٢٨

(٢) السابق:١٠/٢٢٨

ذواتها"لأنّ الاستعمال يدلّ على المراد، فهذا من إسناد الحكم إلى الأعيان والمراد أحوالها.

ودلّت (إذا) الفجائية على أنّ سخطهم أمر يُفاجيء العاقل حين يشهده؛ لأنّه يكون في غير مظنّة سخط، وشأن الأمور المفاجئة أن تكون غريبة في بابها"(١)

وفي قوله تعالى:

٢٣- ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

جاء التعبير في قوله تعالى: (العاملين عليها) بحرف الجر(على) لتفيد التعليل و معناه: العاملون لأجلها، أي لأجل الصدقات.(٢)

واختيار حرف (على) في هذا المقام "لما يشعر به أصل معناه من التمكّن، أي:العاملين لأجلها عملاً قوياً؛ لأنّ السعاة يتجشّمون مشقّةً وعملاً عظيماً، ولعلّ الإشعار بذلك لقصد الإيمان إلى أنّ علّة استحقاقهم مركّبة من أمرين: كون عملهم لفائدة الصدقة، وكونه

(١) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٣٥

(٢) ذكر المرادي أن من معاني(على) الحرفية التعليل والاستعلاء حسا ومعنى.يُنظر الجنى الداني:٤٧٦ ومابعدها

شاقّاً، ويجوز أن تكون (على) دالَّة على الاستعلاء المجازي، وهو استعلاء التصرف كما يقال: هو عامل على المدينة، أي العاملين للنبي أو للخليفة على الصدقات أي متمكّنين من العمل فيها"[1]

أما (في) في قوله تعالى:(وفي الرقاب)، فهي:" للظرفية المجازية،وهي مغنية عن تقدير

(فكّ الرقاب)، ولم يجرّ باللاّم لئلا يتوهّم أنّ الرقاب تدفع إليهم أموال الصدقات، ولكن تُبذل تلك الأموال في عتق الرقاب بشراء، أو إعانة، أو فداءِ أسرى"[2]

وفي قوله تعالى:

٢٤-﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

المقصود بالإيمان للمؤمنين:" تصديقهم في ما يخبرونه، يقال: آمن لفلان بمعنى صدَّقه ولذلك عدّي باللام دون الباء،لأن الإيمان

(١) تفسير التحرير والتنوير:٢٣٦/١٠

(٢) السابق بصفحته

وازع لهم أن يخبروه الكذب فكما أن الرسول -صلى الله عليه وسلم-لا يؤاخذ أحدا بخبر الكاذب فهو يعامل الناس بشهادة المؤمنين"[1]

وفي قوله تعالى:

٢٥- ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

جاءت (الباء) في قوله تعالى:(بأنهم كانوا مجرمين)"للسببية"[2] أي تعذيبهم كان بسبب إجرامهم .

وفي قوله تعالى:

٢٦- ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:٢٤٣/١٠

(٢) السابق:٢٥٣/١٠لم يورد المرادي هذا المعنى للباء وإنما ذكر ما هو قريب منه وهو التعليل وأورد علامتها وهو قول ابن مالك:"هي التي تصلح غالبا في موضعها اللام"وهذا يصلح لهذه الآيه، وعليه تكون اللام هنا للتعليل. يُنظر:الجنى الداني:٣٩

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)﴾

جاءت"(مِنْ) اتّصالية دالّة على معنى اتّصال شيء بشيء وهو تبعيض مجازي معناه الوصلة والولاية وقد شمل قوله (بعضهم من بعض) جميع المنافقين والمنافقات لأن كل فرد هو بعض من الجميع فإذا كـان كل بعض متصلا ببعض أخر عُلم أنهم سواء في الأحوال" [١]

ومنها أيضاً قوله تعالى:

٢٧- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾

السين في قوله تعالى:(سيرحمهم)" لتأكيد حصول الرحمة في المستقبل، فحرف الاستقبال يفيد مع المضارع ما تفيد (قد) مع الماضي" [٢]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٠/٢٥٤

(٢) السابق: ١٠/٢٦٣

وفي قوله تعالى:

٢٨- ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

جاءت(الباء) في قوله تعالى:(بما أخلفوا)"للسببية أو للتعليل، أي بسبب إخلافهم وعد ربّهم وكذبهم"[1]

وفي قوله تعالى:

٢٩- ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

جاءت (في)في قوله تعالى:(في الصدقات)" للظرفية المجازية بجعل سبب اللمز كالظرف للمسبَّب"[2]

وقيل:" أُدخلت (في) على الصدقات، وإنّما اللمز في توزيعها لا في ذواتها: لأنّ الاستعمال يدلّ على المراد"[3]

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٧٣
(٢) السابق:١٠/٢٧٥
(٣) السابق بصفحته

وفي قوله تعالى:

٣٠-﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾

السرّ في الجمع بين النفي بـ (لن) [1] وبين كلمة (أبداً)"تأكيد لمعنى (لن)لانتفاء خروجهم في المستقبل إلى الغزو مع المسلمين"[2]

وفي قوله تعالى:

٣١-﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

افتتاح الكلام بحرف الاستدراك(لكن) مؤذن"بأنّ مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله[3]فلما كان قعود المنافقين عن الجهاد مسبباً على كفرهم بالرسول- صلى الله عليه وسلم -

---

(١) حرف نفي ينصب الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال.يُنظر:الجنى الداني:٢٧٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢٨٣/١٠

(٣) آية(٨٧)

كان المؤمنون على الضد من ذلك"[١]

وفي قوله تعالى:

٣٢-﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

جاءت إعادة حرف النفي(لا) في عطف الضعفاء والمرضى" لتوكيد نفي المؤاخذة عن كلّ فريق بخصوصه"[٢]

و" (مِنْ) مؤكّدة لشمول النفي لكلّ سبيل "[٣]

وفي قوله تعالى:

٣٣-﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

جاءت (إذا) في قوله تعالى:(إذا ما أتوك)"ظرفا لما مضى من الزمان" [٤]

(١) تفسير التحرير والتنوير:٢٩٠/١٠

(٢) السابق:٢٩٤/١٠

(٣) السابق:٢٩٥/١٠

(٤) الجنى الداني:٣٧١

ومنها ما جاء في قوله تعالى:

٣٤- ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

جاءت (الباء) في قوله تعالى (بكم)"للسببية، جُعل المجرور بالباء ضمير المخاطبين على تقدير مضاف. والتقدير: ويتربص بسبب حالتكم الدوائر عليكم لظهور أن الدوائر لا تكون سبباً لانتظارِ الانقلاب بل حالهم هي سبب تربصهم أن تنقلب عليهم الحال لأن حالتهم الحاضرة شديدة عليهم، فالمعنى أنهم ينتظرون ضعفكم وهزيمتكم و ينتظرون وفاة نبيكم فيظهرون ما هو كامن فيهم من الكفر"[1]

وفي قوله تعالى:

٣٥- ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

جاء ذكر الشيئين المختلطين بالعطف بالواو في قوله تعالى:

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٤/١١

(خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) "على اعتبار استوائهما في وقوع فعل الخلط عليهما، يقال: (خلط)كذا بكذا على اعتبار أحد الشيئين المختلطين مُتلابسين بالخلط، والتركيبان متساويان في المعنى، ولكن العطف بالواو أوضح وأحسن فهو أفصح"[1]

وفي قوله تعالى:

٣٦-﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

جاء في قوله تعالى:(عن عباده)"تعدية القبول بعن لتضمنه معنى التجاوز والعفو أي يقبل ذلك متجاوزاً عن ذنوبهم التي تابوا عنها، وقيل: عن بمعنى من. والضمير إما للتأكيد أو له مع التخصيص بمعنى أن الله سبحانه يقبل التوبة لا غيره أي إنه تعالى يفعل ذلك البتة لما قرر أن ضمير الفصل يفيد ذلك والخبر المضارع من مواقعه، وجعل بعضهم التخصيص بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي أنه جل وعلا يقبل التوبة لا رسوله عليه الصلاة والسلام لأن كثرة رجوعهم إليه مظنة لتوهم ذلك"[2]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢١/١١

(٢) روح المعاني:١٥/١١/٦ وما بعدها

وفي قوله تعالى:

٣٧-﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قيل:جاءت (إما)العاطفة [١] هنا لتفيد معنى الإبهام[٢]وهي حرف يدل على أحد شيئين أو أشياء ومعناها قريب من معنى (أو) التي للتخيير إلا أن (إما) تدخل على كلا الاسمين المخير بين مدلوليهما وتحتاج إلى أن تتلى بالواو، و(أو) لا تدخل إلا على ثاني الاسمين.

والتساوي بين الأمرين مع (إما) أظهر منه مع (أو)،لأن (أو) تشعر بأن الاسم المعطوف عليه مقصود ابتداء" [٣] وقيل:(إما) هنا للشك بالنسبة إلى المخاطب، وللإبهام، بالنسبة إلى أنه أَبْهَمَ على المخاطبين"[٤]

وفي قوله تعالى:

(١) حرف من حروف العطف عند أكثر النحويين، يُنظر:الجنى الداني:٥٢٨

(٢) يُنظر: الجنى الداني:٥٣٠

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٨/١١

(٤) الدر المصون:٣ /٤٥٥

٣٨-﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

جاءت (من) لـ"ابتداء الغاية المكانية اتفاقا كذا فيما نُزّل منزلة المكان وفي الزمان عند الكوفيين كقوله تعالى:(من أول يوم)، وصحّحه ابن مالك، لكثرة شواهده، وتأويل البصريون ما ورد من ذلك تعسّف، ونقل ابن يعيش موافقة الكوفيين، وتأوّل البصريين(من أول يوم) على تقدير: من تأسيس أول يوم"[(١)]

وفي قوله تعالى:

٣٩-﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

جاء التعبير بحرف(الباء) في قوله تعالى:(بأن الهم الجنة)؛لأن من شأن الباء "أن تدخل على الثمن في صِيغ الاشتراء فأدخلت هنا

(١) الجنى الداني:٣٠٨ومابعدها

لمشابهة هذا الوعد الثمنَ "[1]

واللام في(لهم الجنة) للملك والاستحْقاق و(مِن) تفضيلية، وهي للابتداء المجازي.[2]

وفي قوله تعالى:

٤٠- ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

قيل:إن (الواو) في قوله تعالى:(والناهون عن المنكر) تُسمى واو الثمانية وضعّف هذا القول آخرون ، قال المرادي:"ذهب قوم إلى إثبات هذه الواو، ومنهم ابن خالويه، والحريري، وجماعة من ضعفة النحويين قالوا: من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد فيقولون: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، إشعارا بأن السبعة عندهم عدد كامل واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) وبقوله

(١) تفسير التحرير والتنوير:٤٠/١١

(٢) السابق بصفحته

تعالى:(وثامنهم كلبهم) وبقوله تعالى: ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ [1] وذهب المحققون إلى: أن الواو في ذلك: إما عاطفة، وإما واو الحال ولم يثبتوا واو الثمانية وأنكر الفارسي واو الثمانية" [2]

والظاهر أن الواو في قوله تعالى:(والناهون عن المنكر)عاطفة"وحكمة ذكرها في هذه الصفة دون ما قبلها من الصفات، مابين الأمر والنهي من التضاد، فجئ بالواو رابطة بينهما لتباينهما وتنافيهما، وقال بعضهم:هي زائدة، وليس بشيء" [3]

والسرّ في العطف بالواو هنا؛" لِلدلالة على أن المتعاطِفَيْن بمنزلة خَصلةٍ واحدة" [4]

وفي قوله تعالى:

٤١ - ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾

جاء حرف الجر (عن) في قوله تعالى:(عن موعدة) "مفيداً

(١) التحريم(٥)

(٢) الجنى الداني:١٦٧-١٦٨

(٣) السابق: ١٦٨

(٤) إرشاد العقل السليم:١٠٧/٣

معنى التعليل"[1]

وفي قوله تعالى:

٤٢ -﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧

افتتحت هذه الآية بحرف التحقيق (لقد)" تأكيداً لمضمونها المتقرر فيما مضى من الزمان حسبما دل عليه الإتيان بالمسندات كلها أفعالاً ماضية."[2]

وفي قوله تعالى:

٤٣ -﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾

جاءت (ما) في قوله تعالى:"بما رحبت" مصدرية غير وقتية،

---

(١) يُنظر: الجنى الداني:٢٤٧

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٤٩/١١

وغير الوقتية قيل هي: "التي تقدّر مع صلتها بمصدر لا يحسن تقدير الوقت قبلها"[1].

والمعنى: أي : برحبها وسَعتها" [2]،وقيل:"جاءت (ما) مصدرية"[3]

و جاءت (ثُم) " للمهلة، والتراخي الزمَني، وليست للتراخي الرتبي ؛ لأن ما بعدها ليس أرفع درجة مما قبلها بقرينة السياق"[4]

و"اللام في (ليتوبوا) للتعليل، أي تاب عليهم لأجل أن يكفوا عن المخالفة ويتنزهوا عن الذنب، أي ليدوموا على التوبة"[5]

وفي قوله تعالى:

٤٤ -﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ

(١) الجنى الداني:٣٣١

(٢) إرشاد العقل السليم :١٠٩/٣

(٣) تفسير التحرير التنوير:٥٣/١١

(٤) السابق بصفحته

(٥) السابق:٥٣/١١

عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

عدي فعل الرغبة في قوله تعالى:(و لايرغبوا بأنفسهم) بحرف(عن) :" والرغبة تُعَدْى بـ (في) فتفيد معنى مودة تحصيل الشيء والحرص فيه، وتُعدى بحرف (عن) فتفيد معنى المجافاة

للشيء وهي هنا معداة بـ (عن) أريد برغبتهم عن نفسه محبتهم أنفسهم ،وحرصهم على سلامتها دون الحرص على سلامة نفس الرسول_ صلى الله عليه وسلم_، فكأنهم رغبوا عن نفسه إذ لم يخرجوا معه مُلاَبسين لأنفسهم، أي محتفظين بها؛ لأنهم بمقدار من يتخلف منهم يزداد تعرض نفس الرسول_ صلى الله عليه وسلم) من التلف قرباً، فتخلف واحد منهم عن الخروج معه عون على تقريب نفس الرسول عليه الصلاة والسلام من التلف فلذلك استعير لهذا التخلف لفظ الرغبة عنه."[1]

"والباء في قوله: (بأنفسهم) للملابسة وهي في موضع الحال،نزل الضن بالأنفس والحذر من هلاكها بالتلبس بها في شدة التمكن وهذا تركيب بديع الإيجاز بالغ الإعجاز"[2]

(١) تفسير التحرير والتنوير :٥٦/١١

(٢) السابق بصفحته.

وفي قوله تعالى:

٤٥-﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

جاء التعبير بـ(لولا) في قوله تعالى:(فلولا نفر)، وهي:" حرف يفيد التحضيض هنا فاختصت ، بالدخول على الأفعال حيث دخلت على الفعل الماضي في قوله تعالى:" فلولا نفر"[(١)]

واللام في قوله تعالى:(لينفروا) "لتأكيد النفي، ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن، وفيه أنه لو صحّ وأمكن، ولم يؤدّ إلى مفسدة لوجب التفقه في الدين على الكافة، ولأنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة ،فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أيّ : من كل جماعة"[(٢)]

والإتيان بصيغة لام الجحود "تأكيد للنفي، وهو خبر مستعمل في النهي فتأكيده يفيد تأكيد النهي، أي كونه نهياً جازماً يقتضي

(١) يُنظر: الجنى الداني:٦٠٥ ومابعدها

(٢) الكشاف:١٠٨/٣

التحريم."[1]

وفي قوله تعالى:

٤٦ - ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

"جاءت(ما) في قوله تعالى:(وإذا ما أُنزلت سورة) للتوكيد" [2]عند من لا يرى زيادتها،وقيل:

زيدت (ما) عَقب (إذا)"وزيادتها لتأكيد معنى (إذا) وهو الشرط، لأن هذا الخبر لغرابته كان خليقاً بالتأكيد، ولأن المنافقين ينكرون صدوره منهم."[3]

وفي قوله تعالى:

٤٧ - ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

(١) السابق بصفحته

(٢) الجنى الداني:٣٣٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٦٤/١١

جاء حرف العطف (ثم) [1]"للترتيب الرتبي"[2]

فجملة(ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ)" عطف على (لا يَرَوْن) داخلٌ تحت الإنكار والتوبـيخِ والمعنى أو لا يَرَون افتتانهم الموجبَ لإيمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق،و لا هم يتذكرون بتلك الفِتن الموجبةِ للتذكر والتوبة"[3]

وفي قوله تعالى:

٤٨ - ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

(قد) في هذه الآية:" حرف تحقيق، إذا دخلت على الماضي، وحرف توقع، إذا دخلت على المستقبل"[4]، والتحقيق يفيد التأكيد، وزيادة في التوكيد اتصلت بها لام التأكيد، لسرّ بلاغيّ ذكره ابن عاشور بقوله:

---

(١) (ثم) حرف عطف، يُشرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة.يُنظر: الجنى الداني:٤٢٦

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٦٨/١١

(٣) إرشاد العقل السليم:١١٣/٣

(٤) الجنى الداني:٢٥٥

افتتحت الآية الكريمة" بحرفَيْ التأكيد وهما(اللام) و(قد) مع كون مضمونها مما لا يتطرق إليه الإنكار، لقصد الاهتمام بهذه الجملة، لأهمية الغرض الذي سيقت لأجله، ولأن فيما تضمنته ،ما ينكره المنافقون، وهو كونه: رسولاً من الله، ولأن :في هذا التأكيد ما يجعل المخاطبين به منزَّلين منزلة المنكرين ،لمجيئه من حيث إنهم لم ينفعوا أنفسهم بهذا المجيء، ولأن في هذا التأكيد تسجيلاً عليهم مراداً به الإيماء إلى اقتراب الرحيل، لأنه لما أعيد الإخبار بمجيئه وهو حاصل منذ أعوام طويلـــة كان ذلك كناية عن اقتراب انتهائه."[1]

من خلال ما مرّ بنا من آيات هنا، نخلص إلى أنّ لحروف المعاني في السياق القرآني أهميّة كبيرة، لا تقل عن أهميّة الكلمة والجملة، فاستخدام حرف في سياق ما، لا يكون إلا لدلالة مقصودة، تكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البياني في نظم القرآن.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:٧١/١١

الخاتمـــــة

كانـت ومازالـت اللفظـة العربيـة، تحتـل مكانـة بـين ألفـاظ اللغات الأخرى، فهي لفظة ثرية،تأتي مشـحونة بطاقـة هائلـة مـن الدلالات، والأفكار، والمعاني، ممايجعل من المتعذر أن ينوب منابهـا لفظة أخرى.

هـذه المزيـة تظهـر جليـة في منبـع البلاغـة الأول(القـرآن الكريم)،لذلك كان لابد أن يكون هذا البيان الفذ مادتها الأولى.

وما جهدي هنا إلا جهد المقل، فإن أحسـنت فمـن الله، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن،لأبي الفضل جلال الدين السيوطي،(لبنان،بيروت،دار الكتب العلميّة،د.ت)

٣. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن ،محمد الأمين الخضري،الطبعة الأولى١٤١٣ه-١٩٩٣م،د.ت)

٤. إعراب القرآن الكريم،أ.محمد الطيب الإبراهيم (دار النفائس،لبنان،بيروت،الطبعة الثالثة:١٤٢٧ه-٢٠٠٦م)

٥. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس،تحقيق:د،زهير غازي زاهد،(عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٠٩ه،١٩٨٨م)

٦. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (منشورات علي بيضون دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٠ه-١٩٩٩م)المجلد الأول

٧. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح:د. محمد عبد المنعم خفاجي،(دار الجيل، بيروت،الطبعة الثالثة،د.ت)

٨. البرهان في ترتيب سور القرآن،الغرناطي،تحقيق:محمد شعباني،(وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة،المملكة المغربية،١٤١٠ه-١٩٩٠م)

٩. البرهان في علوم القرآن، الزركشي،تعليق:مصطفى عبد القادر عطا،(لبنان،بيروت،دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ-١٩٩٨م)

١٠. تفسير الشعراوي،محمد متولي الشعراوي،(أخبار اليوم. قطاع الثقافة،د.ت)

١١. تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي،تحقيق:عبد القادر أحمد عطا،(دار الكتب العلميّة، لبنان ،بيروت،الطبعة الأولى،١٤٠٦ه-١٩٨٦م)

١٢. التفسير الكبير أو(مفاتيح الغيب)،للإمام فخر الدين الرازي،(دار الكتب العلمية، لبنان،بيروت،الطبعة الأولى،١٤١١ه-١٩٩٠م)

١٣. تفسير التحرير والتنوير،محمد الطاهر ابن عاشور،الجزء العاشر، والجزء الحادي عشر،د.ت)

١٤. الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق:د.فخر الدين قباوة وآخرون،(دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٩٩٢, ١٤١٣م)

١٥. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، الطبري، تحقيق:د.عبد الله التركي،(دار عالم الكتب،المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤٢٤ه-٢٠٠٣م)الجزء الحادي عشر.

١٦. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي شهاب الدين الخفاجي،ضبط وتخريج:الشيخ : عبد الرزاق المهدي،منشورات محمد علي بيضون(دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٧ه-١٩٩٧م) الجزء الرابع

١٧. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي،عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي ضبط وتصحيح:عبد الله محمود محمد عمر،منشورات

علي بيضون (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٢٢ه-٢٠٠١م)

١٨. حاشية الكازروني على البيضاوي،لأبي الفضل القرشي،تحقيق:الشيخ:عبد القادر عرفات العشّا حسُّونة،إشراف:مكتب البحوث والدراسات،(دار الفكر،١٤١٦ه-١٩٩٦م)

١٩. حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي،محيي الدين شيخ زادة،(دار الكتب العلميّة،لبنان، بيروت، د.ت)

٢٠. الخصائص،لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار،(د.ت)

٢١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،السمين الحلبي، تحقيق وتعليق: الشيخ على محمد معوض وآخرون،تقديم:د:أحمد محمد صيرة،(دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٤ه-١٩٩٤م، الجزء الثالث)

٢٢. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،لأبي السعود محمد بن محمد العمادي،(دار إحياء التراث العربي،لبنان بيروت،الجزء الثالث،د.ت)

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ضبط وتصحيح:علي عبد الباري عطية،(دار الكتب العلميّة،لبنان،بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٥ه-١٩٩٤م) المجلد الخامس، الجزء التاسع.

٢٤. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج الجوزي القرشي البغدادي،(المكتب الإسلامي،دار ابن حزم،لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٢٣ه-٢٠٠٢م)

٢٥. لباب النقول في أسباب النزول،جلال الدين السيوطي،(دار إحياء العلوم، لبنان، بيروت،الطبعة الثامنة،١٤١٤ه-١٩٩٤م)

٢٦. لسان العرب، لابن منظور،(دار الفكر،لبنان،بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٠ه-١٩٩٠)

٢٧. لطائف قرآنية، صلاح الدين الخالدي(دار القلم،سوريا، دمشق،الطبعة الثانية، ١٤١٩ه-١٩٩٨م).

٢٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ابن الأثير،تحقيق:الشيخ: كامل محمد عويضة،منشورات محمد علي بيضون،(دار الكتب العلميّة،لبنان، بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٩ه-١٩٩٨م)

٢٩. المطول في شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني،(المكتبة الأزهرية للتراث،د.ت)

٣٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق:عبد السلام هارون،(دار الجيل لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤١١ه،١٩٩١م)

٣١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،(المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، صيدا الطبعة الأولى،١٤٠٧ه_١٩٨٧م)

٣٢. مفتاح العلوم،لأبي يعقوب السكاكي، تحقيق:د.عبد الحميد هنداوي،منشورات محمد علي بيضون،(دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٠ه-٢٠٠٠م)

٣٣. المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني،(مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية،الرياض،الطبعة الأولى، ١٤١٨ه-١٩٩٧م)

٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،البقاعي،تخريج:عبد الرزاق غالب المهدي،(دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤١٥ه-١٩٩٥م) الجزء الثالث

المحتويات